AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٨) - السنة (٤٩) رجب ١٤٣٩هـ / ١ أبريل ٢٠١٨م

يحيى العقيلي: فيلم «رحمة» يعبر عن تميز العمل الخيري والإنساني الكويتي

مدير دار الرعاية الإسلامية بلندن:

نسبة المسلمين في بريطانيا زادت بالسنوات الأخيرة ٢٥٪

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
الذي مجلة المجتمع

الشباب العربي..

الواقع والتحديات

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً - السعودية ١٠ ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر ١٠ ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني - لبنان ٤٥٠٠ ليرة - المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

تبرع.. عن طريق الاستقطاع

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

للتواصل: 24834414 - 94064060 - 94064061

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٨) - (السنة ٤٩)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة.
الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

الشباب العربي..
الواقع و التحديات

- قرار «ترمب» بشأن القدس يخالف القانون الدولي 6
- فيلم «رحمة» يعبر عن تميز العمل الخيري والإنساني الكويتي ... 8
- عملية «غصن الزيتون».. نتائج ودلالات 28
- التغريبة الغوطانية.. آلاف المهاجرين من غوطة الشام إلى إدلب ... 30
- الجالية السريلانكية: الكويت رائدة في رعاية الجاليات المقيمة بها .. 31
- الأمين المساعد للاتحاد العام التونسي: لم نطالب بتغيير الشاهد .. 32
- توفيق قاسمي: نسبة المسلمين في بريطانيا زادت 25 ٪ 34
- قيادي بـ«حماس»: أطراف تعرقل المصالحة وندعو الكويت لإنقاذها ... 36
- د. إدريس جميل: نظم الحكم والحروب الأهلية والإقليمية تمنع استفادة دول القرن الأفريقي من موقعها وثرواتها 38

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

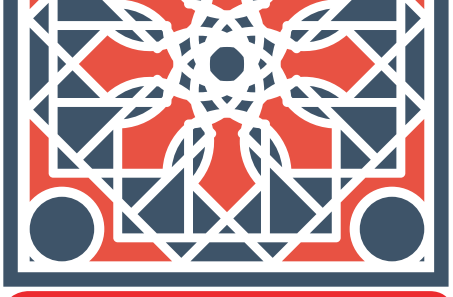

آية العدد

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

(سورة البقرة)

ملفات خاصة عن

أقليات مسلمة - اقتصاد إسلامي
دراسات - تربوي - استشارات أسرية

مقالات

البعد الطائفي بالقضية السورية
عامر البوسلامة 46

الجودة والإتقان
د. يوسف السند 57

المهمة لم تنتهِ بعد!
محمد سالم الراشد 66

قطـر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغـرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الـدار البيضـاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

ادخل على موقع «المجتمع»

رأي المجتمع

ذكرى «يوم الأرض».. ومسيرة العودة الفلسطينية

«يوم الأرض» الفلسطيني هو يوم يُحييه الفلسطينيون في ٣٠ مارس من كل عام، وتعود أحداثه إلى شهر مارس ١٩٧٦م بعد أن قامت السلطات الصهيونية بمصادرة آلاف الدونمات من الأراضي ذات الملكية الخاصة أو المشاع في نطاق حدود مناطق ذات أغلبية سكانية فلسطينية، وقد عمَّ إضراب عام ومسيرات من الجليل إلى النقب، واندلعت مواجهات أسفرت عن ارتقاء ستة فلسطينيين شهداء وأُصيب واعتقل المئات، ويعتبر «يوم الأرض» حدثاً محورياً في الصراع على الأرض بين الفلسطينيين والصهاينة.

وقد انطلقت هذا العام «مسيرة العودة الكبرى» على حدود غزة، شارك فيها جميع أطياف الشعب الفلسطيني، وقد قابلها جيش الاحتلال الصهيوني بكل إجرام مستخدماً الرصاص الحي، وارتقى في اليوم الأول للمسيرة أكثر من ١٥ شهيداً فلسطينياً بينهم نساء وأطفال، وذلك حينما قرر اللاجئون الفلسطينيون العودة إلى ديارهم التي هُجّروا منها في مسيرة سلمية انطلاقاً من القرار الأممي رقم (١٩٤) الصادر بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١م الذي ينص على إنشاء لجنة توفيق تابعة للأمم المتحدة، وتقرير وضع القدس في نظام دولي دائم، وتقرير حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم في سبيل تعديل الأوضاع بحيث تؤدي إلى تحقيق السلام في فلسطين بالمستقبل، وتتخذ المسيرة التي سميت «مسيرة العودة الكبرى» من حدود غزة مكاناً للانطلاق.

إن القضية الفلسطينية لم تكن بحاجة إلى مصالحة الفرقاء من «فتح» و«حماس» أكثر من اليوم، ولم تكن هناك فرصة مناسبة لتحقيقها والبدء فيها مثل اليوم، خاصة بعد أن أدرك معظم الأطراف أن الصهاينة ليسوا أهل سلام ولا مفاوضات.

ولكن حتى تتحقق تلك المصالحة، فلا بد أن تكون شاملة لكل فصائل الشعب الفلسطيني دون استثناء، وأن تنفض «السلطة» أي ضغوط دولية أو إقليمية عن كاهلها، ولا تأبه بالتهديدات «الصهيو أمريكية»، وأن يعلي الجميع مصلحة الشعب الفلسطيني، ويلتفوا جميعاً حول خيار «المقاومة».. فلا بديل سواه.

إن الشعوب العربية والمسلمة، وفي القلب منها الشعب الفلسطيني، لن تنسى أرضها التي سُلبت، وإن عقيدتها كانت وستظل أن أرض فلسطين عربية، وستظل أرضاً عربية خالصة، مهما فرَّط المفرطون، وتخاذل المتخاذلون، وطبَّع المطبِّعون، واستسلم المستسلمون.. وليكن يوم ٣٠ مارس عنواناً لرفض التبعية والتخاذل والمهادنة، وليكن جذوة لا يخبو نورها على طريق تحرير فلسطين.. كل فلسطين.■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

سياسيون في ندوة بالدوحة:

قرار «ترمب» بشأن القدس يخالف القانون الدولي

لا تزال تداعيات قرار الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» بنقل سفارة بلاده إلى مدينة القدس تثير العديد من أشكال الرفض في مختلف الأوساط العربية والإسلامية، لما يفتقره هذا القرار من جوانب قانونية من ناحية، ولتأثيراته العكسية في مستقبل العلاقة العربية - الإسلامية مع الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى.

الدوحة: عمرو محمد

القرار لم يقف على ساقين ورفضه المجتمع الدولي

الاعتراف بـ«الشعب اليهودي» يخالف موقفاً أمريكياً عام ١٩٦٤م

لبحث القرار من الناحية القانونية، شهدت العاصمة القطرية الدوحة ندوة تناولت هذا الجانب، حاضر فيها عدد من المختصين والسياسيين، أكدوا جميعاً أن القرار افتقر لكافة جوانب القانون الدولي، ولم يقف على ساقين، ولذلك رفضه المجتمع الدولي، ولم يقبل به سوى الرئيس الأمريكي ذاته، والكيان الصهيوني، علاوة على بعض الدول التي تم الضغط عليها تحت تهديد قطع المساعدات الأمريكية عنها.

وجاءت الندوة من سياق التحذير من خطورة القرار الأمريكي، الذي وصفه المشاركون بالندوة بأنه صار مكشوفاً في سياق مسعى أمريكي - «إسرائيلي»، بهدف فرض أمر واقع على الفلسطينيين وإخراج القدس من دائرة التفاوض مستفيدين من الوضع السياسي العربي المتردي، واستكمالاً لعملية السيطرة على المدينة وفرض السيادة «الإسرائيلية» عليها، مؤكدين أن الاعتراف بـ«الشعب اليهودي» يخالف موقفاً رسمياً معلناً في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٤م.

مخالفات قانونية

من جانبه، يؤكد د. أنيس قاسم، خبير القانون الدولي، مخالفة قرار «ترمب» لأحكام وقواعد ومبادئ القانون الدولي، مرجعاً ذلك إلى «تجريم اكتساب أراضي الغير بالقوة، وتجريم شروع أي دولة في تنفيذ قوانين فردية لا تتماشى وأحكام ومبادئ القانون الدولي»، لافتاً إلى الإشكاليات القانونية التي تواجه قرار الرئيس الأمريكي من منظور القانون الدولي.

وأرجع ذلك إلى أن الاعتراف بالقدس لا يعرف بدقة أي «قدس»، لا سيما أن «إسرائيل» ضمت إلى القدس الشرقية بعد عام ١٩٦٧م، عشرة أضعاف مساحتها، بالإضافة إلى خلط السياسي بالأسطورة الدينية؛ حين يعترف «ترمب» بـ«الشعب اليهودي»؛ مخالفاً بذلك موقفاً

رسمياً أمريكياً معلناً منذ عام ١٩٦٤م.

وبدورها، وصفت الباحثة سلمى أيوب السياسات «الإسرائيلية» بالقدس بأنها تقوم على أساس التخطيط والتقسيم المفروض من قبل سلطات الاحتلال على المناطق الفلسطينية والفلسطينيين في القدس، من بينها هدم المنازل وتوسيع المستوطنات والاعتقالات بأنها جريمة.

وفي هذا السياق، توصلت إلى أن محاولات «إسرائيل» في تغيير الطابع الديمجرافي للقدس، وعلى نطاق أوسع، ما يجعل كل هذه الإجراءات مخالفة للقانون الجنائي الدولي، مشددة على ضرورة الاستفادة من القانون الدولي في مواجهة جرائم «إسرائيل» ضد الإنسانية في الأرض الفلسطينية التي ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية.

تداعيات اجتماعية

أما الباحثة السياسية دانا الكرد فقالت: إن ممارسات «السلطة» أثرت في تبدل العمل الجمعي في القدس، وخلف آثاراً وخيمة في التماسك الاجتماعي بعد فترة «أوسلو»؛ ما يعني أن «السلطة» كان لها أثر سلبي على قدرة المقدسيين في العمل الجماعي.

وتعرضت لأنماط التعبئة الفلسطينية في القدس ودور السلطة الفلسطينية، واصفة موضوع التعبئة في القدس بأنه مر بثلاث فترات زمنية مختلفة من عام ١٩٦٧ إلى ٢٠١٨م، وأن القدس قبل توقيع «أوسلو» شكلت حجر الزاوية في العمل السياسي بين منظمة التحرير في الخارج والفلسطينيين، إلا أنه وبعد الانتفاضة الثانية فقدت القدس أهميتها وأهمية المؤسسات التي تعمل بها بسبب انتقال المؤسسات المقدسية إلى رام الله، واعتماد المقدسيين على «السلطة» والمكاسب المهنية في مقابل الصالح العام.

وانتهت إلى أن العامل الأساسي الذي يوضح وجود مظاهرات في القدس أكثر من الضفة الغربية يعود إلى أن «السلطة» لها تأثير على التماسك الاجتماعي، بينما في الضفة الغربية يعاني الفلسطينيون من تأثير «السلطة» التي أثرت على التماسك الاجتماعي بشكل أكبر.

تشكيل القدس

وتناول الباحث الإيطالي «فرانشيسكو كيودلي» في مداخلته والمعنونة «تشكيل القدس.. سياسات حضرية في المدينة المزدوجة»، المخططات «الإسرائيلية» الاستيطانية في القدس المحتلة، واصفاً إياها بأنها تسعى إلى احتواء النمو السكاني العربي، بهدف الإبقاء على الفلسطينيين في القدس الشرقية تحت الهيمنة «الإسرائيلية»، وعدم السماح بتوسع الأحياء العربية.

ولفت إلى وجود قيود على منح رخص البناء بسبب نظام تسجيل الأراضي، ويفند ذلك من الناحية القانونية، قائلاً: «إنه بإمكان الفلسطينيين البناء على أرضهم، لكن عملياً لا يمكنهم سوى تشييد أبنية بسمات محددة فقط، وأن ما بين ٣٠ - ٥٠٪ من المنازل الفلسطينية تصنف على أنها غير قانونية، وهذا يجعلها في وضع حرج ويعرضها لخطر الإزالة».■

الأمين العام للرحمة العالمية يحيى العقيلي:

فيلم «رحمة» يعبر عن تميز العمل الخيري والإنساني الكويتي

عرضت الرحمة العالمية مؤخراً فيلم «رحمة» الوثائقي، الذي تناول العديد من القصص الواقعية المؤثرة التي تبرز دور الرحمة العالمية في بناء الإنسان وإعفافه، وهي الرسالة السامية للإسلام كحضارة.

وبهذه المناسبة كان لـ«المجتمع» هذا اللقاء مع الأمين العام للرحمة العالمية يحيى العقيلي، الذي أكد أن الفيلم يبرز قيمة الرسالة التي أرست دعائمها الرحمة العالمية المتمثلة في بناء الإنسان وتحسين حياة الشعوب والأقليات، تحقيقاً للتنمية المستدامة من خلال الأنشطة الخيرية التنموية والإغاثية والشراكات والمبادرات.

أجرى الحوار: سامح أبوالحسن

أول فيلم وثائقي من نوعه في العمل الخيري يتناول رحلة الرحمة العالمية الخيرية خلال أكثر من ٣٦ عاماً

هدف الفيلم إبراز دور العمل الخيري الكويتي ممثلاً بالرحمة العالمية في تخفيف معاناة المنكوبين بالعالم

● بداية، نود أن تحدثنا عن الفيلم الذي عرضته الرحمة العالمية في المركز العلمي مؤخراً.

– فيلم «رحمة» أول فيلم وثائقي من نوعه في العمل الخيري يتحدث عن رحلة الرحمة العالمية الخيرية خلال أكثر من ٣٦ عاماً، خلال هذه الأعوام كان هناك العديد من القصص المؤثرة التي توقفنا أمامها، التي قد لا يصدق سامعها أنها حدثت بالفعل على أرض الواقع، كما تدل على مدى المعاناة التي يعانيها الأيتام والأطفال والنساء والشيوخ، في أكثر من ٤٥ دولة على مستوى العالم.

وكان للرحمة العالمية دور كبير في إغاثة المنكوب وذي الحاجة، وتوفير الكفالة والرعاية لليتيم، وإيواء المشردين ببناء البيوت السكنية لهم، بل والقرى المتكاملة، وتوفير المياه للعطشى عن طريق مشروعات المياه المختلفة سواء أكانت آباراً أم محطات تحلية أم محطات متنقلة، وتوفير فرصة التعليم والكسب الحلال لإعفاف الأسر، هذه القصص صورناها من مواقعها التي حدثت فيها في ثلاث قارات، وهي آسيا وأفريقيا وبعض الدول العربية، وتحديداً في قرغيزيا والبوسنة والهرسك وسريلانكا وبنجلاديش وإندونيسيا وسورية وجيبوتي، التي تحكي مشاهد نرى من خلالها كيف رسمت الرحمة العالمية البسمة على وجوه الأطفال، وكيف مسحت بيدها على رأس اليتيم، وكيف نشرت السعادة في نفوس الآلاف، ورفعت علم الكويت يرفرف باعثاً الأمل لكل ذي حاجة.

● ما أهمية هذا الفيلم بالنسبة للعمل الخيري الكويتي؟

– هذا الفيلم عمل فني يعبر عن تميز العمل الخيري والإنساني الكويتي في صناعة الخير، ويعرض للمشاهد الكريم كيف اكتسبت الكويت سمعة عالمية طيبة بكونها من أكثر الدول نشاطاً في مجال العمل الخيري والإنساني، وكيف تميزت بمشروعاتها الخيرية والإنسانية التي تستهدف بناء الإنسان، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: المجمعات التنموية، والمدارس، والجامعات، والمراكز الإسلامية والثقافية، والمراكز التي تهتم بالمرأة، ومن هنا نعرف لماذا عمدت منظمة الأمم المتحدة إلى تتويج تلك الجهود بتسميتها «مركزاً للعمل الإنساني»، وإطلاق

لقب «قائد العمل الإنساني» على صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح.

● لماذا سمي فيلم «رحمة» بهذا الاسم؟

– تهدف الرحمة العالمية من هذا العمل الفني إلى إبراز دور العمل الخيري الكويتي ممثلاً بالرحمة العالمية في تخفيف معاناة المنكوبين في مختلف أنحاء العالم، وتغيير حياتهم إلى الأفضل، ويبدو ذلك جلياً من قصص ومشاهد الفيلم، ولذلك أطلقنا عليه اسم «رحمة».

● ما أهمية توثيق العمل الخيري والإنساني؟

– يعد التوثيق في العمل الخيري والإنساني من إحدى أهم خطوات النجاح في المؤسسات الخيرية والإنسانية، ويمكن أن يكون هذا التوثيق مكتوباً أو مصوراً، فالإنتاج الفني في المؤسسات الخيرية يسجل ويدون كافة فعاليات والأنشطة والمعلومات والتقارير عن المؤسسات الخيرية، وهو ما تميزت به الرحمة العالمية من خلال توثيقها لأنشطتها المختلفة، فمن يدخل على صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي يرى كيف استطاعت الرحمة العالمية توثيق أعمالها وإغاثاتها المختلفة سواء بالصورة أو بالفيديو، ويعد فيلم «رحمة» الذي تم عرضه في المركز العلمي الأول من نوعه في العمل الخيري والإنساني، فقد وثق العديد من القصص والروايات بطريقة احترافية، وأظهر كيف استطاعت الرحمة العالمية تحقيق رسالتها والمتمثلة في بناء الإنسان.

● ما أهمية الأعمال الإسلامية في العمل الخيري؟

– للإسلام مقاصد عظيمة من عمل الخير، ومن أهم هذه المقاصد الحرية والتمدين ونشر السلم الأهلي في المجتمع ومحاربة الفقر، والحرية هي أول مقاصد العمل الخيري الإسلامي، وجاءت الشريعة السمحاء لتجعلها جزءاً لا يتجزأ من عمل الخير والمساهمة فيه؛ ولذا وصف الله عز وجل حال الناس في مكة وكيف كانوا يبذلون مالهم لتحرير الرقاب ليعتقوا في سبيل الله أناساً قد لا يكونون يعرفونهم إلا أن نداء الخير أجبرهم على ذلك.

أما التمدين، فهو ركن أصيل في بناء المجتمع وفي تمدينه، وبناء تقدمه العلمي والمعرفي، وقد أثبتت التجربة التاريخية أن تطبيقات العمل الخيري تشمل مختلف مجالات الحياة، بما في ذلك الأعمال الإغاثية والتنموية، كما أن العمل الخيري يدعم روح الأخوة والتراحم والتعاطف في المجتمع، ومعالجة علة الفقر تصحبها علل أخرى كثيرة مثل الجهل والمرض والبطالة والجريمة، وهي علل ذات آثار سلبية، تدمر قدرات المجتمع، وفي هذا الفيلم نجد كيف استطاعت الرحمة العالمية تحقيق تلك المقاصد مجتمعة.

● حدثنا عن أثر العمل

● قيادات العمل الخيري أثناء عرض الفيلم

الخراز: فيلم «رحمة» يبرز الدور الريادي في العمل الخيري

كتب: سعد النشوان

أشاد وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل سعد الخراز بجهود الرحمة العالمية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي لما تقوم به من مشاريع خيرية وتنموية متنوعة حول العالم.

وقال الخراز في تصريح لـ«المجتمع»: إن فيلم «رحمة» الذي أنتجته الرحمة العالمية مؤثر جداً، مضيفاً أن هذا العمل يبرز ما نعتز ونفتخر به في الكويت؛ وهو الريادة في العمل الخيري.

وقالت مديرة إدارة الجمعيات الخيرية والمبرات منيرة الكندري: إن وزارة الشؤون تفتح أبوابها للعمل الخيري، مشيدة بدور الجمعيات الخيرية صاحبة الأيادي البيضاء في العمل الخيري الكويتي.

وحول فيلم «رحمة»، قالت الكندري: انتابني شعور السفر حول دول العالم، ورأيت بعض الدول في حاجتها وفقرها، وانتابني شعور بمشاركتنا كوزارة شؤون في نجاح هذا العمل، وأننا كنا نعمل وراء الكواليس لإنجاح هذا العمل الخيري، مضيفة أن هذا الفيلم هو مبعث فخر للكويت.

ونفت الكندري أي تحجيم للعمل الخيري من خلال القانون الجديد، وقالت: إن الوزارة دائماً تأخذ برأي العاملين في العمل الخيري حتى تكون هناك شراكة بين وزارة الشؤون والجمعيات.■

الخيري على المستفيدين في تغيير أوضاعهم؟

– للعمل الخيري أثره الكبير في تغيير أوضاع المستفيدين، وفي الفيلم الوثائقي «رحمة» رأينا كيف استطاعت الرحمة العالمية –بتبرعات المحسنين– تغيير حياة الأيتام إلى الأفضل من كوخ في وسط الأشجار إلى طلاب في جامعات، ورأينا كيف تغيرت حياة كثير من الناس إلى الأفضل.

● ما أبرز القصص التي تناولها الفيلم؟

– من القصص المؤثرة التي تناولها الفيلم قصة سيدة نزحت من شمال سريلانكا بسبب الحروب التي حدثت خلال السنوات الماضية، وتبرعت لها إحدى الجمعيات الخيرية هناك، فقامت ببناء بيت من سعف جوز الهند، فكان لا يقيهم أمطار الشتاء، وكان للأم أربع بنات معاقات، وتقص الأم من خلال فيلم «رحمة» كيف أنها عاشت حياة مليئة بالمعاناة، فزوجها كان يعمل بالأجرة اليومية، وحينما يخرج للعمل يحصلون على الطعام، وإذا لم يخرج ينامون وبطونهم خاوية.

وبعد أن قام ممثل الرحمة العالمية بزيارة بيتهم ودراسة وضع الأسرة، قام بإرسال الدراسة إلى المكتب الرئيس، الذي بدوره قام وبتفاعل أهل الخير ببناء بيت لهذه السيدة، ولكن هذا البيت في هذه المرة بمواصفات خاصة، حيث وضع على بعض جدار المنزل مجموعة من «الأنابيب» حتى تستطيع الفتيات أن يسرن ممسكات بتلك الأنابيب.

● ماذا عن قصة «ثابت» التي تناولها الفيلم؟

– «ثابت» هو دليل الصمود، فقد صمد هذا الرجل في وجه ضرب البوسنة بعد أن دخلوا قريته، وأبى إلا أن يظل في مكانه رغم التهديدات التي جاءته من كل مكان، فأصر على عدم ترك منزله، وأثناء بحث ممثل الرحمة العالمية عمن يستحقون مشروعات للكسب الحلال في جمهورية البوسنة والهرسك، اتجهوا إلى كوخ صغير وسط أراض زراعية، وأثناء بحثهم اطلعوا على أرض ثابت.

وبعد دراسة حالته تبين مدى الحاجة إلى جرار زراعي وأدوات زراعية حتى يقوم بعمله، وبالفعل قامت الرحمة العالمية بتوفير الأدوات الزراعية له، ونرى في الفيلم كيف أكد «ثابت» أن الرحمة العالمية كان لها دور كبير في إحياء تلك القرية من خلال توزيعها لمشروعات الكسب الحلال المختلفة، ومنها: الأبقار والجرارات الزراعية، ونرى في الفيلم عمل الرحمة العالمية خلال أكثر من ٢٠ عاماً وإنجازاتها المتعددة.

● في النهاية، نريد أن نتعرف على طموح الرحمة العالمية؟

– نطمح أن نصل بالخير إلى كل فقير في العالم، وإلى أن نحقق الدور التنموي للرحمة في كل الدول التي نعمل بها، ونريد أن نصل بالمستفيدين إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، ونطمح إلى بناء الإنسان وتكوين الشخصية التي تنهض بالمجتمع وبالأمة.■

نطمح لتحقيق الدور التنموي للرحمة بكل الدول التي نعمل بها وأن نصل بالمستفيدين إلى الاكتفاء الذاتي

رحيل الوزير المتواضع يوسف السيد هاشم الرفاعي

رحل وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الأسبق يوسف السيد هاشم الرفاعي، عن عمر ناهز ٨٦ عاماً، بعد حياة قضاها في مكارم الأخلاق والأعمال الفاضلة الطيبة.

ويوسف الرفاعي، من مواليد عام ١٩٣٢م، من علماء الدين البارزين في الكويت، شيخ وعالم جليل متواضع وصاحب الباع الطويل في تجارب الحياة السياسية والثقافية والدينية، واصل العطاء والعمل بكل ثبات وإخلاص من أجل خدمة وطنه الكويت وشعبها دون كلل أو ملل.

شغل منصب وزير البريد والبرق والهاتف (وزارة المواصلات آنذاك) عام ١٩٦٤م، ثم عين وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيساً للمجلس البلدي ورئيساً لمجلس التخطيط من عام ١٩٦٥ إلى ١٩٧٠م، وذلك بجانب استمراره كعضو منتخب في مجلس الأمة الكويتي من عام ١٩٦٣ إلى ١٩٧٤م، وكان، يرحمه الله، من الناشطين في مجال الدعوة الإسلامية.

تخرج في كلية الآداب قسم التاريخ بجامعة الكويت عام ١٩٧٠م، وحصل على درجة الماجستير والدكتوراه من الجامعة الإسلامية في كراتشي.

بدأ حياته الوظيفية بإدارة الجوازات والإقامة والسفر عام ١٩٤٩م، ثم أصبح رئيس إدارة الإقامة والسفر.

أسس معهداً دينياً شرعياً لتدريس العلوم العربية والشرعية بجانب العلوم الأخرى على منهج المعاهد الأزهرية اسمه «معهد الإيمان الشرعي» في منطقة المنقف بالكويت، يضم المراحل الثلاث؛ الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، كما أسس «الاتحاد العالمي الإسلامي للدعوة والإعلام» مع عدد من الشخصيات الإسلامية ومركزه لاهور في باكستان، وأسس «الجمعية الكويتية لمساعدة مسلمي بنجلاديش» عام ١٩٨٠م، التي قامت بإنشاء عدة مشاريع دينية من مساجد ومدارس ومستشفيات في بنجلاديش، ولا تزال مستمرة في أعمالها الخيرية، وأسس مجلة «البلاغ» الإسلامية، ومن الأعضاء المؤسسين لجمعية الإرشاد، ورئيس لجنة «الأقليات المسلمة» في مؤتمر العالم الإسلامي بباكستان.

من أبرز إنجازاته أثناء فترة عضويته في مجلس الأمة، قيادة النواب لإصدار قانون منع الخمر في الكويت، والوقوف في وجه الاختلاط داخل الجامعة والمدارس، ومقاومة كل ما يمس الإسلام والمسلمين.■

الشباب العربي.. الواقع والتحديات

الشباب في كل أمة هم عدة المستقبل وأعمدة الحاضر، وهم الدماء التي تسري في عروق الأمة فتجدد لها حيويتها وعوامل نهضتها.

وإدراكاً منه لأهمية هذه المرحلة وحساسيتها في البناء والتأسيس، أولاها الرسول صلى الله عليه وسلم عناية خاصة في التربية والتوجيه والإرشاد؛ حتى إنه أخبر صلى الله عليه وسلم أن الإنسان مسؤول عن هذه المرحلة أمام الله تعالى مرتين؛ مرة في سياق السؤال عن عمره كله، ومرة أخرى بتركيز أكبر عليها خصيصاً؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع؛ عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» (رواه الترمذي وغيره عن أبي برزة الأسلمي).

وإدراكاً من خصوم الأمة وأعدائها لدور الشباب الفاعل في نهضتها، عمدوا إلى استهدافهم بكل الوسائل حتى يدمروهم فيُفقدوا الأمة سبب نهضتها ورقيها ويبقوها في ذيل الأمم تتخبط في ظلمات الجهل والتخلف.

وسعياً منها للقيام بدورها وأداء رسالتها الإعلامية في هذا المجال، تقدم «المجتمع» هذا الملف الذي تهدف من خلاله إلى أن يتبوأ الشباب مكانته ويأخذ دوره في قمرة القيادة، مستصحبة في ذلك نماذج مضيئة من حضارتنا، ومستلهمة تجارب مشرقة في حاضرنا، ومستطلعة في الوقت نفسه أصحاب الشأن من الشباب في طرح طموحاتهم ورؤاهم المستقبلية.

ونظراً لتشعب مسالك الموضوع وأهميته وتعذر إعطائه حقه في عدد واحد؛ ستخصص المجلة ملف العدد القادم عن محور مهم في حياة الشباب وهو «وسائل التواصل الاجتماعي».■

في ندوة «المجتمع» عن الشباب:

الأسرة والحكومة والمجتمع المدني.. أضلاع تتحقق بها رؤية الشباب

أدار الندوة: سعد النشوان - سامح أبوالحسن

قال مجموعة من الشباب الكويتيين شاركوا في الندوة التي عقدتها «المجتمع» أخيراً بمقرها بجمعية الإصلاح الاجتماعي بالروضة: إن الشباب الكويتي لديه رؤية مستقبلية، لكن الإشكالية في معرفة الطريق الذي يسيرون عليه لتحقيق رؤيتهم، في ظل التحديات العالمية القوية.

وأكد هؤلاء الشباب دور الأسرة في توجيه الشباب ومساعدتهم على تحقيق طموحاتهم، باعتبارهم القدوة التي يترسمون خطاها، كما أشاروا إلى دور التكنولوجيا الحديثة الذي لا يُنكر، داعين إلى استخدامها بصورة صحيحة حتى تكون سبباً في قتل طموح الشباب.

علي الشواف:

- غياب دور الأسرة يقتل الطموح والرؤية المستقبلية لدى الشباب

- نحن بحاجة إلى القدوة الشبابية التي تسير على دربها الأجيال القادمة

- في التسعينيات كان من يتلقون علاج الإدمان سنهم ٢٥ و٣٠ عاماً أما الآن فيبدأ من ١٥ عاماً

الشواف: ٧٥٪ من الكويتيين شباب؛

قال المدرب التحفيزي في المهارات الحياتية علي الشواف: إن ٧٥٪ من الشعب الكويتي من فئة الشباب، ومنهم من لديه طموح يريد أن يصل به إلى القمر، ومنهم من لديه طموح محدود، وهناك نوع آخر بين هذا وذاك، ونرى في حياتنا اليومية شباباً لديهم طموحات عالية ورؤية مستقبلية لتحقيق رؤية صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح؛ بجعل الكويت مركزاً مالياً وتجارياً وتحقيق «رؤية ٢٠٣٥».

لكنه يرى أن هذا الشباب يريد من يدفعه لتحقيق هذه الرؤية ومن يرسم له الطريق، مشيراً إلى أن دور الهيئة العامة للشباب مهم جداً في هذا المجال.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه خلال هذه الفترة، حسب الشواف: هل هذا الشباب سيكون قادراً على تقلد المناصب القيادية وامتلاك رؤية واضحة لقيادة الكويت نحو الأفضل في وجود التنين الصيني والأسد الإنجليزي والفيل الهندي؟

وأوضح أن بعض الشباب نظرتهم قصيرة المدى في رؤيتهم المستقبلية وطموحاتهم متعجلة؛ حيث يهدفون من ورائها لتحقيق الحرية المالية بأسرع وقت ممكن، ويريدون الراحة والعمل في «البزنس» دون أن يكون لديهم إستراتيجية محددة؛ ولذا نجد أن هذا النوع من الشباب يعيش دون إستراتيجية، ويغلب عليه العشوائية والأنانية والاهتمام بالأمور الشخصية، فهمهم الأول التقليد الأعمى بأن يصبحوا مثل فلان أو فلان تاجراً أو ميسور الحال بأسرع وقت ممكن دون أن ينظر إلى المشروع نفسه وفائدته للدولة والمجتمع.

• علي الشواف

الأسرة خط الدفاع

وقال الشواف: إن الدور الرئيس الذي يمكن من خلاله تبني رؤية مستقبلية لدى الشباب

يجب أن ينطلق من الأسرة، ومن ثم المؤسسات الرسمية، فهناك بعض المبادرات التي تم إطلاقها خلال الفترة الأخيرة التي نحاول من خلالها أن نغرس في الشباب الطموح مثل مبادرة «صناع الأمل»، ومبادرة «في كل بيت مدرب» التي تعد من المبادرات الرائدة في تنمية الرؤية المستقبلية لدى الشباب، فالمدرب هو الوالد أو الوالدة أو الأخ الكبير الذي يضع عوامل التنمية البشرية في حياته من أجل مساعدة والديه وإخوانه، كما يستطيع أن يبين لأسرته الغث والسمين من وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة.

وأشار إلى أن الموجة كبيرة وخط الدفاع الأول عنها هي الأسرة، فلا نستطيع التعويل على الحكومة وحدها رغم أهمية دورها، ولكن لا بد للمجتمع أيضاً أن يكون له دور مثل مؤسسات المجتمع المدني وجمعيات النفع العام؛ مستشهداً بنموذج جمعية الإصلاح الاجتماعي التي لديها مراكز للتدريب، حيث يقومون بضم الشباب لتعليمهم وتدريبهم، وأكد دور الإعلام من خلال استضافة ذوي الخبرة في هذا الأمر من علماء دين ومدربين وأكاديميين.

وأوضح الشواف أن غياب دور الأسرة أيضاً يقتل الطموح والرؤية المستقبلية لدى الشباب، بل ويجعلهم يسيرون في طريق الإدمان والانحراف، فحسب رئيس جمعية بشائر الخير د. عبدالحميد البلالي، ففي فترة التسعينيات كان من يتلقون العلاج من الإدمان بين سن ٢٥ و٣٠ عاماً، أما الآن فمن يتلقون هذا العلاج تبدأ أعمارهم من ١٥ عاماً، وهذا نذير خطر كبير، مشيراً إلى أنه يرى هذا الأمر واضحاً جلياً بين الشباب بحكم عمله بينهم، مؤكداً في هذا السياق أهمية إنشاء نواد شبابية لتساعد الأسرة في دورها الكبير في تنمية الطموح والرؤية المستقبلية لدى الشباب، مؤكداً أن وجود الوالد والوالدة في المنزل حجر الزاوية لبناء شاب ناضج فكرياً وعلمياً ومجتمعياً.

وأكد أن الأمر الذي يزيد المشكلة تعقيداً يتمثل في فقدان القدوة في المجتمع، مشيراً إلى أننا بأمس الحاجة إلى القدوة الشبابية؛ وضرب مثلاً بالمخترع الكويتي قاسم صادق الذي أصبح محفزاً لكثير من الشباب الكويتي، مبيناً أن الشباب قد يصطدم نوعاً ما بالبيروقراطية الحكومية والنظم اليومية حينما يسعى إلى تأسيس شركة أو مؤسسة لتحقيق طموحه.

وعن قانون المشروعات الصغيرة وأهميته في الرؤية المستقبلية للشباب الكويتي، قال الشواف: إن القانون خطوة للأمام، وهناك الكثير من الشباب استفاد من قانون المشروعات الصغيرة، لكن الإعلام للأسف الشديد لا يسلط الضوء على هذه الفئة من الشباب.

وبين الشواف أن وسائل التكنولوجيا الحديثة قد تساهم في قتل طموح الشباب ورؤيته إذا استخدمت بطريقة خاطئة.

الشطي: الساحة الثقافية مفتوحة:

من جهته، قال مدير العلاقات العامة والإعلام في جمعية الإصلاح الاجتماعي عبدالرحمن الشطي: إنه لا يوجد حدث من الأحداث إلا وهناك خلف الستار من يحركه، وعندما يتحرك الشباب نحو قضية ما، فإننا على يقين أن هناك منابر فكر وتوجيه موجودة في المجتمع، تفعل فعلها في الناس وفي تشكيل نفسيتهم وثقافتهم، وإذا تساءلنا: من ذا الذي يصنع صناع المجتمع؟ فسيكون أول محضن ثقافي عند الطفل، وبالتالي لا بد من أن نتناول دور الأسرة في حياة الشاب منذ الطفولة؛ لأن التوجه الذي يحمله الطفل من أسرته سيعيش معه بقية حياته، ويتوسع في ذلك، ويصر على أن هذا الشيء كبر معه وتربى عليه،

ويفتخر بأن تصرفاتي نتاج تربية أهلي وعائلتي وقبيلتي وديرتي الكويت، إذا توسعنا وخرجنا خارج الكويت، وتم الاحتكاك بشباب من دول الجوار وخصوصاً الدول الخليجية أو العرب والأجانب.

وأكد أن الساحة الثقافية ليست مقصورة على البيت والمدرسة والنادي والمؤسسات المحلية، فهي مفتوحة أكثر مما نتصور، بل أزعم أن هناك فتحاً لملفات قديمة، والبحث في كتب وأفكار وعلاقات كأنها كانت معارك قديمة ثم تم افتتاحها مرة أخرى؛ مثل معركة الحجاب التي تفتح كل فترة رغم وضوح الأمر فيها.

وتابع الشطي: من الصعوبة بمكان جعل مصدر الفكر للشباب الكويتي مقصوراً على الكويت وحدها، أو جعل الناس يخضعون لقوالب فكرية كويتية داخلية فقط، وعلى مستوى التيارات الفكرية النشطة في الكويت، سواء الإسلامية وغير الإسلامية، تجد بعض الشباب الذي يطلق على نفسه «الشباب الليبرالي» يحمل بعض الأفكار الإسلامية، ومن يحمل أفكاراً إسلامية ومن بيئة إسلامية عنده أطروحات أقرب إلى الليبرالية.

إذن فمن أين مصدر هذه الأطروحات؟ لا بد أن هذا نتاج هذا التواصل الثقافي الإعلامي وتلاقح الأفكار، وأنا أظن أن هذا هو الطبيعي في المجتمع، فليس مدحاً أو ذماً، نحن نتحدث عن توصيف وليس عن تزكية وعدم تزكية.

الثقة وبناء الشباب

وأكد الشطي أن الشاب الكويتي ذو كفاءة كبيرة في تحمل المسؤولية، وهذا ليس من باب الحماسة والتحيز للشاب الكويتي، لأننا شاهدنا شباباً لديهم من حس المسؤولية والمبادرة، في كافة المجالات، ضارباً مثلاً بتجربة شخصية

عبدالرحمن الشطي:

- الشاب الكويتي ذو كفاءة كبيرة في تحمل المسؤولية وهذا ليس من باب الحماسة والتحيز

- محمد الحصينان صاحب موقع «كويت بونج» نموذج لشاب كويتي أحدث أثراً ليس عادياً

- هناك منابر فكر وتوجيه في المجتمع تفعل فعلها في الناس وتشكيل نفسيتهم وثقافتهم

مع أحد الشباب وهو محمد الحصينان، صاحب موقع «كويت بونج»؛ فهو نموذج لشاب كويتي أحدث أثراً ليس عادياً، قد يكون مثالاً يصعب تكراره، وأنا رأيت التجربة عن قرب من خلال عملي في «العون المباشر».

وبين أن هناك مبادرات مجتمعية مهمة وفعالة مثل مبادرة «الجليس» الخاصة بالقراءة؛ حيث نرى اليوم رجوع ما يسمى الصالات الثقافية التي لم تكن موجودة في التسعينيات.

وأكد الشطي أن جمعية الإصلاح الاجتماعي -على سبيل المثال- اهتمت بموضوع العمل الشبابي واحتواء الشباب، فلا تكاد تجد بيتاً إلا ولأحد أفراده انتساب إما لجمعية الإصلاح أو إحياء التراث، أو غيرهما من الجمعيات العامة في المجتمع الكويتي.

وتابع الشطي: أما موضوع الثقة وبناء الشاب فهذا هو الهدف العام للمحاور التربوية التي تقوم عليها الأندية والأنشطة، واليوم يوجد أكثر من ٢٥ نادياً رياضياً، متوزعة على مناطق الكويت، لشريحة الشباب فقط، ومثلها لطلاب الثانوي.

وأكد أهمية الخطاب الشرعي والتربوي في مواجهة خطاب التطرف الذي لا يصلح في الأساس مع البيئة الكويتية، مشيراً إلى دور القطاع الدعوي والتدقيق الشرعي بجمعية الإصلاح الذي يقوم بمواجهة الفكر المتطرف بالحوار والحجة والبرهان.

نورة سليمان: لا بد من نشر الوعي:

فيما قالت المهندسة نورة سليمان: هناك بعض الشباب لا يوجد لديهم طموح أو أهداف أو بُعد نظر، بل لا يملكون أي رؤية إستراتيجية، ولا يقومون بالتخطيط لأنفسهم، وفي الجانب الآخر نجد آخرين لديهم طموح كبير لكنهم يفتقدون النظرة المستقبلية لعدم وجود أهداف واضحة لهم في حياتهم، وهؤلاء يجب التركيز عليهم من قبل المؤسسات الشبابية المختلفة، أما من يملك الرؤية والهدف والتخطيط فهم قادرون على أن يشقوا طريقهم بأنفسهم.

وأضافت أن هناك فئة من الشباب لا بد من نشر الوعي بينهم، وهم الشباب الذين يملكون الطموح والأفكار، لكن تنقصهم إستراتيجية تنفيذ هذه الأفكار، وفي ذلك نعول كثيراً على المؤسسات التي تهتم بالشباب بالأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح بدلاً من تركهم تائهين، ومن ثم يجنحون إلى النوع الأول، وهم من لا يملكون رؤية ولا القدرة على تنفيذ أي رؤية أيضاً.

وأكدت سليمان أن سبب التخبط لدى الشباب يتمثل في عدم وجود دراسة تساعدهم على تحقيق أهدافهم؛ فنجد بعض الشباب لديهم العديد من المواهب لكنه لا يراها، أو قد

يكون لديه موهبة ويجهل الجهة التي ترعاها، ويمكن رعاية هذه الفئة من خلال مراكز توعوية تقدم فيها دورات تدريبية وتعليمية تتبنى الشباب.

وعولت المهندسة نورة كثيراً على دور وسائل الإعلام المختلفة في توجيه هؤلاء الشباب عن طريق استحداث برامج جاذبة وهادفة، تستطيع الوصول إلى شريحة الشباب، كما أن وسائل الإعلام مطالبة بأن تكون أكثر مصداقية حتى يمكننا أن نصل من خلالها إلى الشباب، خصوصاً أنهم اتجهوا إلى وسائل التواصل الاجتماعي في الفترة الأخيرة لثقتهم فيها أكثر من ثقتهم بالإعلام المرئي والمسموع والمقروء.

مربع تحقيق الرؤية

وأكدت أنه يمكن للشباب أن يحقق رؤيته المستقبلية، لكن هناك مربعاً لا بد أن يكتمل:

الضلع الأول: الشاب نفسه الذي يجب أن يكون لديه طموح ورؤية.

والضلع الثاني: الحكومة؛ من خلال دعمها للشباب ورؤيته والابتعاد عن البيروقراطية.

أما الضلع الثالث: وسائل الإعلام المختلفة التي يجب أن تقوم بدورها في مساندة الشباب لتحقيق رؤيته؛ فلا يعقل أن تكون هناك العديد من التجارب الناجحة ولا تسلط وسائل الإعلام الضوء عليها.

والضلع الرابع: مؤسسات المجتمع المدني، خاصة أن بعض المشروعات الصغيرة للشباب يكون رأسمالها قليلاً.

وقالت سليمان: إن الحكومة فشلت في تسويق «رؤية الكويت ٢٠٣٥»، فهناك الكثير من الشباب لا يعرفون مضمون تلك الرؤية، وما المطلوب لتحقيقها، كما أن بعض الشباب أصيب بالإحباط، فالشباب في المرحلة الثانوية تسلل إليهم الإحباط، مؤكدة ضرورة تبني رؤية أحد النواب الذي طالب بأن يتم فتح المجال أمام الشباب على الأقل في الإجازة الصيفية أو في الفترة المسائية للعمل؛

نورة سليمان:

- سبب التخبط لدى الشباب يتمثل في عدم وجود دراسة تساعدهم على تحقيق أهدافهم

- الشباب اتجهوا إلى وسائل التواصل لثقتهم فيها أكثر من ثقتهم بالإعلام المرئي والمسموع والمكتوب

- اختلاف الشباب في السابق عن الآن يعود إلى فقدان دور الأسرة

ضاربة مثلاً بأحد الشباب الكويتي الذي يعمل في جمعيات تعاونية رغم أنه ما زال بالمرحلة الثانوية، وهناك من التحقوا بشركات كبرى للعمل وحققوا إبداعات وإنجازات، داعية إلى فتح المجال للشباب بدلاً من قتل طموحه وآماله.

وقالت سليمان: إن اختلاف الشباب في السابق عن الآن يعود إلى فقدان دور الأسرة، إضافة إلى التفكك الأسري الذي يؤدي دوراً خطيراً في تشكيل الشباب منذ الصغر في ظل ارتفاع نسبة الطلاق في الكويت.

ودعت النواب الشباب إلى تبني مشكلات وهموم وطموحات الشباب بدلاً من انشغالهم بقضايا أخرى ربما تكون أقل أهمية، أو هناك من يهتم بها من النواب الآخرين.

هيا الشطي: شباب الكويت يتفوقون عن أقرانهم:

فيما قالت الإعلامية هيا الشطي: إنه يوجد فارق كبير بين الشباب الكويتي وأقرانهم في أكثر الدول العربية، فيما يتعلق بالطموح، فأنا شخصياً أرى أن الشباب الكويتي لديه طموح كبير، ويمتلك رؤى إبداعية متعددة، لكن هذا الطموح لا يتم احتواؤه بشكل جيد، حيث يتم توجيهه في الغالب إلى النواحي التجارية والاقتصادية، والآن نرى أن طموحهم ينصب كثيراً في الأعمال الخيرية والتطوعية، حيث نلاحظ مدى الإبداع والابتكار الذي يقوم به الشباب الكويتي في هذا المجال.

وتابعت: لو استطعنا توجيه هؤلاء الشباب إلى مجالات أخرى، فبالتأكيد سنرى منهم نفس الابتكار والإبداع الذي يقومون به في الأعمال الخيرية والتجارية، لكن للأسف الإجراءات الحكومية لا تلبي حاجاتهم في تنمية طموحهم وإثبات ذواتهم، من خلال إبراز مواهبهم وقدراتهم المخزونة، وأنا شخصياً حينما قابلت بعض الأشخاص أصحاب المشاريع في الكويت، والأشخاص الذين يملكون رؤى وحققوا نجاحات، أجمعوا على أنهم عندما يضعون أرجلهم في بدايات الطريق الصحيح للنهوض وتحقيق الذات وإبراز المواهب لتحقيق النجاح المأمول، يواجَهون بالإجراءات الحكومية المعرقلة والمكبلة التي تقف حائلاً بينهم وبين ما يريدون، الأمر الذي يجعلهم بكل أسف يتركون الكويت، من أجل إثبات ذواتهم وتحقيق طموحاتهم في دول أخرى مجاورة.

وبينت الشطي أن هناك من الشباب الكويتي من يستخدم الشبكة العنكبوتية ذات الفضاء الواسع، من أجل إبراز مواهبه في التجارة والاستثمار وتنمية آماله المالية والعلمية وغيرها، خصوصاً أن التعامل مع الإنترنت يمتاز بالسهولة والسلاسة، ولهذا ينجذب إليه الشباب الكويتي باستمرار.

الشباب والعمل الخيري

وأكدت الإعلامية الكويتية أن الشباب الكويتي أخذ فرصته

في مجال العمل الخيري، لذلك انطلق وأثبت شخصيته المتميزة وقدرته على الإبداع في هذا المجال، ورغم قصر المدة التي مارس فيها هذا المجال، فإنهم استطاعوا تحقيق درجات عالية من النجاح والتفوق، لأنهم قاموا بنقل الصورة الإيجابية التي من خلالها تفاعل الجمهور معهم بشكل كبير جداً، وهذا ما أثبتته الحملات الإغاثية المتكررة التي يتم تفعيلها على مدار العام وليس في شهر رمضان المبارك فقط، فالأعمال الخيرية مستمرة طوال العام، والشباب مستمر في أعماله الخيرية والتطوعية، ليس في الكويت فقط، بل في كثير من الدول الأخرى.

وأوضحت الشطي أن وزارة الشباب لها العديد من الأنشطة، ومع ذلك لم يكن دورها بالقوة المطلوبة والمأمولة منها، ومن الممكن أن تقوم بدور أكبر عن طريق بعض البرامج الشبابية وتوزيع الجوائز على المتميزين، وعن طريق فتح الورش وعمل الدورات التدريبية للشباب.

وأكدت أن أكبر همّ يواجه أولياء الأمو هنا في المستقبل هو التعليم؛ فالتعليم هو العلامة الفارقة لمستقبل أي طفل، والطفل الذي يتعلم بطريقة صحيحة، سيعود عليه بالنفع في حياته العملية في المستقبل، وحينما يتعلم بطريقة خاطئة، سيكون وبالاً على نفسه وأسرته ووطنه، وهذه الكارثة التي نحذر منها من الآن.

وقالت الشطي: إن جيل الشباب في وقتنا هذا نشأ في جو مادي للغاية، حيث صارت المتعة مادية، والجمال مادياً، والأمور المحسوسة غير موجودة في حياتنا، فالجيل المعاصر للأسف يعيش معاناة لا يدري كيفية الخلاص منها، والكثير منهم لا يشعر بها حالياً؛ فالنظرة المادية للحياة من المستحيل أن تقوم ببناء إنسان، كذلك من المستحيل أن تساهم في بناء المجتمع، وأصبح التركيز لدى الجميع هو نجاح «البزنس»، وكل هموم الشباب

هيا الشطي:

- الشباب الكويتي لديه طموح كبير ويمتلك رؤى إبداعية متعددة

- عندما أخذ فرصته في مجال العمل الخيري انطلق وأثبت شخصيته المتميزة وقدرته على الإبداع

- جيل الشباب في وقتنا هذا نشأ في جو مادي للغاية

الحصول على الشكليات والماديات، من خلال المعاش القوي، والوظيفة المرموقة، بصرف النظر إن كانت تلك الوظيفة تفيد المجتمع أم لا، فمسألة المجتمع وإفادته خارج نطاق همه وفكره.

وأشارت إلى أن الشباب في حاجة ماسة للتعليم والتطوير، متسائلة عن الشباب الكويتي الذي خرج للعمل بأوروبا وأمريكا، هل استطاعوا المنافسة في سوق العمل، أم تعودوا على طريقة النظام الحكومي كما هي الحال هنا، الذي يعتمد على دوام محدد بوقت والحصول على معاش كبير، دون أن يقدم في مقابله شيئاً يتوازى مع هذا المعاش الذي يتقاضاه؟

وأضافت الشطي: أنا طموحي وآمالي كشابة أن تتوافر أمامي الفرص في ظل الإمكانات المادية التي تتمتع بها الكويت، فأنا أسعى من خلال تلك الإمكانات المادية الكبيرة أن أتطور كإنسان، ولست في حاجة إلى حلول تخديرية مؤقتة.

وأكدت أن الشباب الكويتي لديه رؤية لكنه يتعرض لصدمات لأن الحياة صارت مادية.

وقالت: إن جمعيات النفع العام استطاعت أن تؤثر وتوجه فئة معينة من الشباب، تهتم بهم وترعاهم، وتقوم بدور كبير تجاههم، ولكن ما زال المجتمع متعطشاً بشكل كبير، وفي الوقت نفسه متخوفاً من موضوع الحزبية، وهناك فئة كبيرة من الناس يرفضون الدخول تحت مظلة أي جمعية لها فكر معين، ولا أظن أن لأي جمعية القدرة على احتواء الشباب كلهم، لأنهم في نهاية الأمر يستطيعون استقطاب المئات وربما الآلاف عن طريق البرامج التي يعرضونها والدورات والمحاضرات، لكنهم لا يستطيعون التعامل مع عشرات الآلاف في آن واحد، ففي تركيا على سبيل المثال برامج شبابية للتعامل مع الشباب طوال العام، بالبرامج الرياضية والإلكترونية وغيرها من البرامج المفيدة؛ فالمجالات مفتوحة ومتعددة ومتنوعة أمام الشباب في تركيا.

واختتمت قائلة: إن مسألة توجيه الشباب وتحديد خريطة طريق لهم من الصعوبة بمكان أن يتقبلوها في عصرنا الحالي، والأولى توفير وسائل ووسائط يتفكر فيها للوصول إلى الرؤية الخاصة به، أما توجيهه بـ«الروموت» فأمر صعب جداً، مبينة أن الإعلام يساعد كثيراً في وأد أحلام الشباب وآمالهم، نظراً لكونه إعلاماً موجهاً مدفوعاً له، ليقوم بتوجيه الشباب الكويتي نحو نقاط معينة، وخدمة توجه معين، ومن الطبيعي أن يقتل طموحات الشباب وأحلامهم.

وأكدت أن أكثر شيء يعطل أجندة الإعلام الموجّه أن يكون الشاب قوياً ويعرف ما يحيط به، وما يُحاك له.■

الشباب ومجتمع المعرفة

مفاهيم.. أفكار.. تجارب

لكي نفهم جيداً مصطلح «مجتمع المعرفة»، دعونا نستعرض قصة الهاتف «نوكيا» الشهير، وكيف كان مثالاً معبراً عن دور المعرفة صعوداً أو هبوطاً، فقد تأسست شركة «نوكيا» مبكراً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (عام ١٨٦٥م)، في دولة فنلندا، وكانت متخصصة في صناعة الورق والاتجار به، ثم تحولت في مسيرتها الطويلة إلى تصنيع المطاط، ثم توليد الطاقة الكهربائية، وصولاً إلى إنتاج الأسلاك ومعدات الاتصالات والإلكترونيات، حتى تخصصت في عقد التسعينيات من القرن العشرين في تصنيع الهاتف النقال الذي حمل اسمها، وانتشر في العالم بشكل هائل، حتى أصبحت تستحوذ على ٤٠٪ من حصة السوق العالمية في العام ٢٠٠٧م، واشتهرت فنلندا الدولة به (في مقابل ٢٥٪ لشركة «موتورولا»، و١٤٪ لشركة «إريكسون»).

د. مصطفى جمعة
أكاديمي وناقد أدبي وخبير تربوي

توقع محللون تضاعف حجم مبيعاتها في السوق في غضون ثلاثة أو أربعة أعوام، ولكنها تراجعت، حتى باتت في ذيل قائمة الشركات، لأن القائمين عليها لم يواكبوا معرفياً التغييرات الهائلة في موجات التقنيات العالمية، ولم يتوافر لهم الإبداع والتخيل العلمي وتلمّس حاجات المستهلكين وذائقتهم، وهو ما انعكس سلباً في القرارات الخطأ التي اتخذها «ستيفن إيلوب»، الرئيس التنفيذي للشركة، الذي شغله في أكتوبر ٢٠١٠م؛ فمع كل يوم قضاه «إيلوب» على رأس الشركة كانت القيمة السوقية للشركة تنخفض بنحو ٢٣ مليون دولار يومياً، ليكون واحداً من أسوأ الرؤساء التنفيذيين في التاريخ، والسبب ببساطة اقتصاره على نظام تشغيل وحيد، دون ابتكار[1].

إذن، المشكلة أساسها المعرفة والقدرة على الإبداع، وهذا ما يدفعنا لشراء هاتف نقال لا تتجاوز قيمة تصنيعه من معادن وبلاستيك وزجاج وأسلاك بضعة دولارات، ومع ذلك ندفع فيه مئات الدولارات ونحن راضون، بل ونركض خلف الجديد منه والسبب أن نشتري معرفة وتقنية وإبداعاً، ومعلوم أن «بيل جيتس» يربح في الثانية الواحدة ٢٢٦ دولاراً، وقيمة شركاته (مايكروسوفت) تتجاوز ما تملكه دول الخليج النفطية ومعها اليمن والأردن مجتمعة،

عدم مواكبة التغييرات الهائلة في موجات التقنيات العالمية جعل «نوكيا» تتراجع من صدارة الشركات إلى ذيلها

أثرياء العالم الآن هم المبتكرون ملاّك المعرفة وليسوا ملاك الأراضي والصناعات الثقيلة

كل بضاعته برامج حاسوبية أساسها المعلومة والتخيل والإضافة!

ولنعلم أن أثرياء العالم لم يصبحوا ملاك الأراضي والصناعات الثقيلة كما كان في الماضي، وإنما هم الآن المبتكرون ملاّك المعرفة المبتكرة، ويكفي أن أرباح شركة «سامسونج» في العام الواحد ٣٢٧ مليار دولار.

نجاح «فيسبوك»

لنا في قصة «فيسبوك» نموذج للنجاح المتوالي، ففي العام ٢٠٠٣م أسس «مارك زوكربيرج» «فيسبوك» بالاشتراك مع كل من «داستين موسكوفيتز»، و«كريس هيوز»، وكلهم تخصصوا في دراسة علوم الحاسب، وكانوا رفقاء في سكن جامعة هارفارد بالولايات المتحدة، وكانت الفكرة بسيطة، واقتصرت عضوية الموقع بداية على طلبة جامعة هارفارد، إلا أنها تمددت بعد ذلك لتشمل الكليات الأخرى في مدينة بوسطن وجامعة آيفي ليج وجامعة ستانفورد، ثم اتسعت دائرة الموقع لتشمل أي طالب جامعي، ثم طلبة المدارس الثانوية، ثم انتشرت في العالم، وضمت آلاف المبرمجين المبدعين، ووصلت العضوية لعدة مليارات من سكان العالم.

أصبح «زوكربيرج» أصغر

ملياردير في العالم وعمره ٢٣ عاماً فقط، أما قيمة شركة «فيسبوك» العالمية فتقدر بأكثر من ٢٠٠ مليار دولار، ويكفي أن الشركة اشترت تطبيق «واتساب» بمبلغ ١٩ مليار دولار عام ٢٠١٤م، وكان عدد مشتركي «واتساب» فقط ٥٠٠ مليون مشترك، وساعتها سخر بعض المستثمرين من «زوكربيرج»، نظراً لعظم المبلغ المدفوع، ولكن انظر إلى ما فعله مع «واتساب»؛ فقد طوّره من مجرد برنامج للرسائل الكتابية إلى اتصالات صوتية ومرئية وبريد متكامل، وتجاوز ملياراً و٢٠٠ مليون مشترك، فانظر كم ستكون قيمته السوقية الآن، علماً أن ثمن المشترك العضو في «واتساب» ١٠٠ دولار، وحتى الآن التطبيق مجاني، بلا إعلانات ولا أنشطة ترويجية، فقط هو ثروة هائلة من المعلومات التي تباع لمن يريد معرفة توجهات المستخدمين الفكرية والسياسية والاجتماعية والتجارية.

المعرفة مفتاح الثروة

نحن إذن نعيش «مجتمع المعرفة» أو الثورة المعلوماتية، التي هي حالة الإبداع الفكري والعلمي والتقني، المبنية على التقدم المعرفي الهائل، الذي تعكسه ملايين المبتكرات والاختراعات، التي تتضاعف كل يوم[٢]، ولكي تتضح الصورة أكثر فإن حجم العلم والمعارف كان يتضاعف في الزمن القديم كل ألف عام، وبدءاً من القرن السادس عشر بات يتضاعف كل مائة عام، ومع القرن التاسع عشر صار يتضاعف كل خمسين عاماً، ثم مع النصف الثاني من القرن العشرين، صار يتضاعف كل عشرة أعوام، ومع القرن الحادي والعشرين، باتت العلوم والمعارف تتضاعف كل ٧٣ يوماً[٣]، أي خمس مرات في العام الواحد، ليتسيد مفهوم أن «المعرفة قوة».

لقد كان الاقتصاد التقليدي معتمداً على إنتاج الموارد الطبيعية واستثمارها، في مجالات: الزراعة والصناعة والمناجم والتجارة.. إلخ، ولكن الثورة المعرفية أعطتنا رؤية مختلفة، فالمهم امتلاك المعرفة والقدرة على إنتاجها وتطبيقها، وستكون بعدها مالكاً للثروة، ويكفي أن دولاً كانت تعاني من شح الموارد الطبيعية مثل اليابان وكوريا الجنوبية، لكنهما امتلكتا ثروة بشرية ماهرة متقنة، وطاقات إبداعية متخيلة، فحولتا التراب إلى ذهب، وتربعتا على عرش الاقتصاد العالمي؛ لتكونا سبباً في تحول جذري ليعتمد الاقتصاد العالمي على ما يسفر عنه الإبداع المعرفي في البحوث المدنية والتكنولوجية، في تقديم الجديد من السلع والخدمات وتطوير طرق الإنتاج حيث تقدر المعرفة العلمية والتكنولوجية في بعض الدول بنحو ٨٠٪ من

حجم العلم والمعارف كان يتضاعف في الزمن القديم كل ألف سنة والآن كل ٧٣ يوماً

ليست المعرفة مجرد معلومات مبثوثة في الكتب والمراجع وإنما هي إلهام للمخترعين

اقتصادها، فبات من الضروري ربط مجتمع المعلومات بتطوير نظم التعليم لتتيح فرصاً للفرد كي يتعلم ليعرف، ويتعلم ليعلّم، ويتعلم ليتعايش، ويتعلم ليبدع، ويتعلم لينتج[٤].

فليست المعرفة مجرد معلومات مبثوثة في الكتب والمراجع، وإنما هي إلهام وتخييل للمخترعين، على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم، المهم أن يفكروا في كيفية التطوير والإضافة.

ويكفي أن نعلم أن مجتمع المعرفة المعلوماتي يقدم الآن فرصة عمل واحدة بين كل أربع فرص جديدة؛ والإحصائية في ازدياد، ولننظر إلى التجارة الإلكترونية على الإنترنت كانت في العام ٢٠٠٣م حوالي ٥ تريليونات دولار، أي حوالي ٧,٢٪ من حجم التجارة العالمية، واليوم تضاعفت ٣ مرات[٥].

الشباب العربي

ويكون السؤال: ماذا عنا في العالم العربي؟

والجواب: إننا في حاجة إلى سيادة مفاهيم جديدة في الاستثمار المعرفي والتحول إلى الاقتصاد الإبداعي في قطاعات من قبيل صناعة التكنولوجيات المتقدمة، والحرفيات الجديدة، وبرمجيات الخدمات التجارية والمالية، وصناعة المنتجات الثقافية والفنية، وكل هذا يتوقف على طاقة البشر الإبداعية أفراداً كانوا أو جماعات، فتلك هي الثروة الحقيقية في القرن الحادي والعشرين[٦].

وهذا يعني توجيه العناية إلى الاستثمار في البشر وليس الحجر، وإيقاف نزيف العقول المهاجرة، فلا بد من تطوير طاقات الشباب وقدراتهم، عبر تسليحهم بفكر مجتمع المعرفة ومهاراته، ودمجهم في مشروعات التنمية المستدامة، في ظل الفجوة المعرفية الهائلة التي تفصلنا عن الدول المتقدمة، التي يمكن أن نتلافاها في حالة وجود الإرادة والتخطيط، وتحويل فكرنا اليومي من سؤال: كيف نتكيف ونتابع منجزات الثورة المعرفية والمعلوماتية؟ إلى سؤال: كيف يمكننا تغيير تحديات واقعنا العربي والإسلامي للفوز بأكبر قدر من المكاسب؟[٧]، والتحدي مطروح على الشباب العربي، الذين يشكلون ٧٠٪ من نسبة سكان العالم العربي.

ومن هنا، فإن الشباب العربي يحتاج إلى فكر جديد، يحقق به ذاته، بعيداً عن الركض خلف الوظيفة الحكومية، وما شابها من فرص عمل تقليدية، أو السعي إلى الهجرة، فيكفيه أن يبدع في ضوء المتاح من إمكانيات بيئته، المهم التفكير

والسعي، والعمل الذي لا يكل، ولا يحقرن من الإنجاز شيئاً وإن صغُر.

وهذا يستلزم التسلح بمهارات التعلم الذاتي مدى الحياة، فالمتعلم يحتاج إلى تنمية ملكاته الشخصية، وإيجاد مصادر المعلومات الملائمة له التي تخدم احتياجاته، ومن الضروري توافر الخبرات اللازمة لمواءمة تعلّم الفرد مع خبراته ومرحلته العمرية، ويمكن أن تضطلع بهذا مؤسسات التعليم التقليدي إلى جانب المكتبات والجمعيات المهنية مع مؤسسات التعليم الذاتي في دعم مجتمع المعرفة الجديد، كما يجب أن يتعلم الشاب كيفية الشراكة في استقاء المعرفة عند السعي إلى استكمال فكرة، أو المضي قدماً في تطبيق نظرية أو تحقيق إستراتيجية، كما أن النجاح في الابتكار يحتم على الأفراد ألا يعملوا وحدهم بشكل فردي، بل عليهم تعلم فنون الشراكة والعمل ضمن فريق من خلال التبادل المعرفي بما يعود على الجميع بالفائدة[٨].

يونس وبنك الفقراء

ولنا في قصة العالم البنجالي المسلم محمد يونس، الحائز على جائزة «نوبل»، مثال رائع في تحويل المعرفة إلى فكرة فردية ثم عمل جماعي، ثم منظومة اجتماعية؛ فقد ولد يونس عام ١٩٤٠م بمدينة «سيتا جونج»، وهي مركز تجاري لمنطقة البنجال شرقي الهند، وكان الده يعمل في صياغة الذهب، وهو ما جعله يعيش في رخاء نوعي، وقد اهتم الوالد بتعليم أبنائه لأعلى المستويات التعليمية، أما الأم صفية خاتون كان لها أثر كبير في نفس ابنها محمد، لأنها كانت لا ترد سائلاً

• محمد يونس

فقيراً يقف ببابها، فتعلّم يونس أن الإنسان لا بد أن تكون له رسالة في حياته.

حصل يونس عام ١٩٦٥م على منحة من مؤسسات «فولبرايت» الأمريكية لدراسة الدكتوراه، وفي فترة تواجده بأمريكا، ساند موقف بلاده في حربها للاستقلال عن باكستان، ثم عاد لبنجلاديش المستقلة حديثاً عام ١٩٧٢م، ليصبح رئيساً لقسم الاقتصاد في جامعة شيتاجونج، وليشاهد بعينيه تفاقم معاناة الناس في بلاده، وحدوث مجاعة راح ضحيتها مليون ونصف مليون إنسان، ففكر كيف يستغل علمه الاقتصادي لعلاج الفقر المدقع، فحاول إقناع البنك المركزي والبنوك التجارية لوضع نظام لإقراض الفقراء دون ضمانات، وهو ما دعا رجال البنوك للسخرية منه، زاعمين أن الفقراء ليسوا أهلاً للاقتراض، فاضطر يونس لتنفيذ الفكرة بنفسه، فاقترض قرضاً خاصاً ليبدأ به مشروعه في قرية «جوبرا» بمساعدة طلابه، ومضى في متابعته ودراسته من عام ١٩٧٦ حتى ١٩٧٩م، وقد نجح مشروعه نجاحاً باهراً وغيّر حياة ٥٠٠ أسرة فقيرة.

وفي عام ١٩٧٩م اقتنع البنك المركزي بنجاح الفكرة وتبنى مشروع «جرامين» (مشروع القرية)، وفي عام ١٩٨١م زاد من حجم المشروع ليشمل ٥ مقاطعات، وقد أكدت كل مراحل المشروع مدى فاعلية نظام القروض متناهية الصغر في العمل والإنتاج، حتى وصل عملاء البنك «المشروع» عام ١٩٨٣م إلى ٥٩ ألف عميل، ووصل الآن إلى ٨ ملايين عميل، تشكل النساء ما نسبته ٩٨٪ منهم، وقد طور يونس شبكة ضخمة من البرمجيات والأجهزة الذكية والموظفين والمرشدين المدربين لمعاونته[٩].

اعتمدت فكرة يونس على توظيف المعرفة اقتصادياً، وبرؤية إسلامية، بدون ضمانات، وتوجه لكل راغب في العمل والاستثمار في الزراعة وتربية المواشي والطيور، والصناعات والتجارة، وهي مجالات تزيد الإنتاج، ويمكن القيام بها في المنازل، وتجعل الأيدي طالبة الصدقات عاملة منتجة تكفي حاجتها.

إن مجتمع المعرفة يحتاج عقولاً متطلعة لكل جديد في العلم ومهارات الحياة، ونفوساً ترنو إلى المستقبل، ولا تركن للكسل، وقلوباً متشوقة للنجاح والتميز والعطاء.■

الهوامش

(١) انظر تفصيلاً: «نوكيا» قصة غيرّت مسار الصناعة في العالم، http://www.alyaum.com/article/1145116 وأيضاً من قتل نوكيا؟ بيكا نيكانين وميرينا سالمينين، http://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology 16/10//2014

(٢) مجتمع المعرفة: مفاهيم أساسية، د. ربحي عليان، أبحاث المؤتمر(٢٣)، لعلوم المكتبات ومصادر المعلومات، قطر، ٢٠١٢م، ص٢١٣١.

(٣) السابق، ص٢١٣٢.

(٤) مجتمع المعرفة العربي ودوره في التنمية، مجلس البحث العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص (ع).

(٥) السابق، ص٤٣.

(٦) تقرير عن الاقتصاد الإبداعي: سبل تعزيز التنمية المحلية، منظمة اليونسكو، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠١٣م، ص١٥، ١٦.

(٧) تقرير المعرفة العربي: الشباب وتوطين المعرفة، ٢٠١٤م، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي، ص٢، ٣.

(٨) مجتمع المعرفة العربي ودوره في التنمية، م س، ص٤٦، ٤٧.

(٩) للمزيد انظر: تجربة بنك الفقراء، د. مجدى سعيد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٦م.

اصطدم الشباب العربي في بداية العقد الثاني من القرن الحالي الحادي والعشرين بمواجهات عدة وقفت بكل قوتها ونفوذها ومصالحها المحدودة الضيقة أمام طموحات مشروعة وآمال كادت أن يبزغ فجر تحققها في ذلك الوقت، وكانت الدولة القطرية أبرز هذه القوى التي وظفت كل طاقاتها وخبراتها الفنية والتقليدية واستثارت حلفاءها في تلك المواجهة مع الشباب العربي التي تحمل عنوان «مواجهات البقاء والوجود».

خريف الشباب العربي «المؤقت»

د. حسان عبدالله حسان
أستاذ أصول التربية المساعد بكلية التربية - مصر

اصطدمت رغبات الشباب المؤهل جامعياً ببعض الدول بغياب خارطة حقيقية للتنمية الاقتصادية

كثير من الدول العربية تفتح أبوابها للشركات المتعددة الجنسيات لتتعاقد على دعم شرعية النظام لا دعم اقتصاده

«الانتماء والهوية» للمجتمع العربي وتاريخه وثقافته الضحية الأولى للاكتساح العولمي للقيم

المواجهة الثانية التي ساهمت في تحطم طموحات الشباب العربي وهزيمة آماله، هي موقف القوى الدينية على اختلاف مواقفها من مشروع حلم الشباب العربي، بين الرغبة في إعادة الشباب إلى بيت الطاعة للدولة القُطرية ونظمها السياسية المتحالفة مع الغرب، والخداع والتضليل بتحالفها مع النظم السياسية تحت لافتات «لا يجوز الخروج على الحاكم».

ونحاول أن نجمل فيما يلي مشهد الشباب العربي في العقود الثلاثة الأخيرة كعقود يمكن من خلالها الوقوف على أهم خصائص هذا المشهد وتطوراته ومستجداته وتحولاته.

الواقع الاقتصادي

نبدأ من الواقع الاقتصادي الذي يعاني فيه الشباب من اختناق لفرص العمل أو الحصول على ما يمكن من خلاله تلبية احتياجاته الأساسية من تعليم، أو تكوين أسرة أو ما إلى ذلك من احتياجات طبيعية لتلك الفئة، حيث اصطدمت رغبات الشباب المؤهل جامعياً وفوق الجامعي -لا سيما في الدول الكبرى مثل مصر- بغياب خارطة حقيقية للتنمية الاقتصادية، يكون الشباب مطلوباً وبقوة لهذه التنمية لا متسولاً لفرصة عمل يكفي بها احتياجاته الأساسية، وتشير الأرقام إلى تزايد نسبة البطالة في العالم العربي باعتبارها الأكبر على مستوى العالم؛ فعلى الرغم من أن الهرم السكاني العربي تمثل قاعدته قوة الشباب، فإن النسبة الأعلى للبطالة التي تقترب من ٣٠٪ هي الأكبر على مستوى العالم في العام ٢٠١٣م مقابل ١٣٪ عالمياً (بحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠١٦م).

ومن هنا تحتاج فرصة الحصول على عمل إلى جهد غير عادي لا سيما أيضاً في ظل وجود جهاز إداري أظهرت دراسات عديدة تمرسه على الرشى والمحسوبية في الحصول على تلك الوظائف القليلة المتاحة (انظر: أحمد زايد وآخرون: الأطر الثقافية الحاكمة لسلوك المصريين واختياراتهم، دراسة لقيم النزاهة والشفافية والفساد، وزارة الدولة للتنمية الإدارية، أكتوبر ٢٠٠٩)؛ لذا اضطر الشباب العربي أن ينحو نحو الغرب عن طريق الهجرة وما يكتنفها من مخاطر الوصول والعيش كذلك، أو الدخول في دوامة الأمراض النفسية والاكتئاب، أو الجنوح نحو الانحرافات السلوكية والجنائية كفعل مضاد لإهمال الدولة والمجتمع لهذه الطاقة الكبيرة.

وفي هذا الوضع الاقتصادي المتأزم للشباب تفتح الدول العربية أبوابها للشركات المتعددة الجنسيات لتخلق سوقاً للاستهلاك وليس للإنتاج، لاستثمار المال وليس لفرص عمل، وهذه الشركات بتعاقدها مع النظام السياسي إنما تتعاقد معه على دعم شرعيته لا دعم اقتصاده أو تنميته أو حل أزماته، ويأخذ منها النظام هذا الدعم في مقابل استغلال السوق المحلية التي تتراكم فيها البطالة والعطالة بين فئة الشباب بشكل واضح وعلى مدى عقود متتالية تزداد تلك الأزمة وتتفاقم.

ومن ناحية أخرى، يبحث النظام السياسي لهذه الدول العتيقة في التبعية والفساد إلى المؤسسات الدولية للاقتراض منها بكل الشروط التي تمليها ومنها تخلي الدولة -التي لم تكن أبداً- عن مفهوم الرعاية لشعبها وترفع عنه كل صور الدعم، وتحمله نتائج كل الأزمات التي تخلقها للحفاظ على وجودها.

وفي الوقت ذاته، فرضت الدول التحديث القسري على الشباب الذي قدمته الشركات متعددة الجنسيات من ناحية، واستهلاك التكنولوجيا الغربية من ناحية أخرى، بدءاً من «أطباق الدش» (الستالايت) إلى الهواتف المحمولة والإنترنت ووسائل التواصل والاتصال الاجتماعي، هذا التحديث الذي ضخ تياراً كاسحاً من القيم

المعولمة هدد بالفعل القيم الأصيلة والخصوصية الثقافية لمجتمعاتنا، وكانت أداته هي فئة الشباب التي انعزلت عن تراثها الذي واجهته الدولة بكل قوة، وحاولت استيراد نماذج متغربة مثل الوطنية والقومية، لكنها لم تفلح وفشلت كل مشاريعها الوطنية والقومية التي حملت تلك الشعارات.

ومن ثم كان الضحية الأولى لهذا الاكتساح العولمي للقيم هو قيم «الانتماء والهوية» للمجتمع العربي وتاريخه وثقافته وحضارته، فمشروع العولمة الذي فتحت الدولة القطرية له كل أبوابها ودون حذر أو شروط يهدف ضمن ما يهدف إلى محو الهويات الثقافية وسحق الخصوصيات الحضارية للأمم والشعوب التي تملك حضارة وتاريخاً وثقافة، في مقابل إعلاء النموذج المعرفي المادي الغربي واعتباره النموذج الوحيد الباقي والصالح، كما أعلن «فرانسيس فوكوياما» في «نهاية التاريخ وخاتم البشر».

أصيب الشباب العربي بصدمات نفسية عميقة إزاء حالة دولهم التي كانت حريصة على إرضاء الغرب وليس إرضاء شعوبها تكريساً للمبدأ الرئيس الذي قامت عليه في القرن العشرين -في ظل «سايكس بيكو»- وهي فكرة «التبعية»، وأرادت أن تجعل نظام تنشئة شعوبها يدور حول هذا المبدأ ولا يخرج عنه، ومن ناحية أخرى أعاقت الدول كل محاولات توظيف طاقات الشباب، ولو على المستوى القيمي، فواجهت الحركة الإسلامية بصورة ناعمة تارة وبصورة خشنة تارة أخرى.

وفي نهاية عام ٢٠١٠م فوجئ الشباب العربي العالم ببداية ثورات الشتاء، متجاوزاً

كل صدماته النفسية والاقتصادية والقيمية، ليعلن عن وجوده ومكانته التي فقدها في ظل رغبة الأنظمة في البقاء ولو على أجساد شعوبها، ويعلن عن مشروع جديد تتمثل أركانه في عناصر ثلاثة، هي: الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، ولا تخلو هذه الأركان الثلاثة من رمزية ومبدئية لفكرة مشروع عربي ناهض، فالحرية تعني تجاوز كل شبكات التغييب والتجهيل والتزييف التي عاشت عليها الدول ونظامها السياسي وأركانه، فهي تعني في ذلك المشروع كشف الغطاء عن الحقيقة الاجتماعية والعوامل التي أثرت في تزييفها وفي تجهيل الناس والتغرير بهم.

الشباب العربي أصيب بصدمات نفسية إزاء حالة دولهم الحريصة على إرضاء الغرب وليس شعوبها

لقد مثلت فكرة «الحرية» ذلك الشعار الأول مرتكز مشروع الشباب الذي تصوروه لحالهم ومستقبلهم، ثم كان الشعار الثاني «العدالة الاجتماعية» مؤشراً لفهم عميق لميلاد مجتمع جديد يقوم على شبكة علاقات اجتماعية قوية تتجلى فيها العدالة بكل صورها؛ فتحلل المجتمعات والحضارات يبدأ من تحلل شبكة علاقاتها بالأساس، وأي بناء جديد أو ميلاد جديد للمجتمع لا بد أن يبدأ من شبكة علاقات اجتماعية وثقافية تحمل المجتمع إلى بناء نهضة وقيام جديد.

أما الشعار الثالث فهو البعد الحضاري والإنساني الكامن في مشروع الشباب -الذي انطلق فجره في ثورات الشتاء- وهو «الكرامة الإنسانية»، وهو رسالة على عمق وعي الشاب العربي برسالته الحضارية التي انطلقت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً لتعلن للعالم (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: ٧٠)، والكرامة الإنسانية في ذلك المشروع لا تنتصر لجنس دون جنس أو لعرق دون عرق، وإنما هي كرامة لكل ذي يدين أينما وجد وأينما كان وأينما حل وأينما ارتحل، لقد مثلت هذه النداءات الثلاثة (الحرية، والعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية) مرجعية فكرية لمشروع القرن للعالم العربي.

لم يمتلك الشباب العربي القوة المادية الكافية -في ثورات الشتاء- كي يتمكن من تحقيق حلمه المشروع، أو مشروع حلمه الكامن منذ أكثر من قرن من الزمان، فواجهته الدولة (التنين) بكل ما تملك من قوة ناعمة وقوة غاشمة، واستطاعت عبر ثورات مضادة تقودها جيوش النظام أن تعطل ذلك الحلم قليلاً، إلا أنه فكرة لا يمكنها أن تموت لاسيما أنها رويت بدماء الشباب نساء ورجالاً، استطاعت دول الشتاء (الربيع) العربي بمعاونة الحلفاء في الشرق والغرب والمحيط الإقليمي أن تحول ثورات الشباب العربي إلى خريف بشكل مؤقت، فالأفكار المخزونة تبحث دائماً عن وقت للانطلاق، والفكرة لا تموت ولا تظل مخزونة أبد الدهر.■

الشباب في الحضارة الإسلامية..
نماذج وواجبات

حثت تعاليم الشريعة المترسمين خطاها على اغتنام عمر الشباب قبل هجوم الشيخوخة، ثم أمرت بالحفاظ على العمر والوقت، وجعلت المستظلين بظل العرش بعضهم شاب نشأ في عبادة ربه، فلم تمله الأهواء ولم تجرفه الشهوات، ولم ييأس من روح الله، فروح اليأس بمستوياته المختلفة التي تدب في أوصال الشباب اليوم لا مبرر لها، فلسنا نتعبد لله تعالى على شرط التمكين والظهور في الأرض، وإن كنا نسعى لهذا بكل سبيل، لكننا نتعبده بالأصالة بأداء ما علينا، والقيام بحقه تعالى في كل الأزمنة، وأعظم ما ينبغي اغتنامه في هذه الأزمنة أن يسلك المرء سبيل الظاهرين على الحق الذين لا يضرهم من خذلهم، وأن يعيش في متن الحياة لا في حواشيها وأطرافها، وأن يخلع رداء اليأس ويسلك طريق الجد حتى يظفر بواحدة من المكرمتين؛ إما حياة تسر الصديق، وإما ممات يغيظ العدا.

د. محمد أحمد عزب

المتتبع للسيرة النبوية يتأكد أن دعوة الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ لم تسر بين مَن بُعث فيهم سرياناً سهلاً، بل وجد معارضة حامية الوطيس، شملت كل أنواع الصدود والمدافعة بكل سبيل تمكن منه أعداؤه.

وهنا تطرح الأسئلة نفسها على مسار الدعوة على النحو التالي:

هل كان انتصارها وإقامة الدولة وفق معجزات تذلل الصعاب؟ أم سارت وفق تدبير وتخطيط وإدارة وإرادة كانت تسري في حملة الدعوة؟

وهل كان توظيف طاقات الشباب ووضعها في مكانها هو الأساس، أم كانت هناك معايير آخرى؟

وهل استثمرت الدعوة الطاقات المعطلة وأعادت لها الفاعلية الخليقة بها؟ وهل استجاب الشباب عبر التاريخ الإسلامي للفاعلية، أم ركنوا

للدعة والراحة، وانتقلوا بالحياة من كونها وسيلة إلى أن جعلوها غاية حتى استعبدتهم الأمم؟

يهمنا في هذا السبيل أن نرصد كيف أسست الدعوة في نفوس الشباب قيمة استثمار العمر، وتحولت بالمؤمنين الجدد من أناس يعيشون على هامش الحياة ويلهثون خلف الشهوات إلى قادة يصنعون التاريخ.

لقد كان تأثير الشباب في بداية الدعوة بالغ الأثر، إذ حرك فيهم الإسلام وازع الفاعلية، ونقلهم من مجتمع الغثاء إلى أمة الشهادة على الناس، وانتقلت بهم الدعوة من عادات مجتمع أبي جهل وأبي لهب وحمالة الحطب، إلى مجتمع المثل العليا التي صارت واقعاً حياً في حملة الدعوة الرجال والنساء على السواء، وكان لهذه النماذج الدور الفاعل في صناعة الأمة.

جعفر بن أبي طالب ورفاق «مؤتة»:

أسلم جعفر بن أبي طالب وهو في الحادية والعشرين من عمره، وترأس وفد المسلمين في الحبشة، وكانت حكمته سبباً مباشراً في استقرار المهاجرين هناك، وما إن قدم حتى فرح النبي ﷺ بمقدمه قائلاً: «والله ما أدري بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»[1]، ثم لم يلبث أن كان أحد القادة في غزوة «مؤتة» التي استشهد فيها وهو في الحادية والأربعين، وكان ذهابه مع جيش «مؤتة» بعد قدومه بعام من الحبشة.

كان الذين التفوا حول الدعوة في بواكيرها الأولى وأسهموا في التمكين لها جلهم من الشباب، كان أول سفراء الدعوة هو مصعب بن عمير فتى قريش المترف، الذي عانق الدعوة في بداياتها وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، ولما قدم أرسله النبي لأهل المدينة يعلمهم، فكان خير سفير، ثم حمل اللواء يوم «بدر»، ويوم «أحد» فلقي الله فيه شهيداً، فتلا فيه النبي قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾) (الأحزاب)، فلقد ذهب وما نال من الدنيا شيئاً سوى أن رضي الله عنه واختاره شهيداً في ريعان عمره.

كان شباب الإسلام يضربون المثل الأعلى في الشجاعة والجسارة والعطاء والتضحية بالنفس، وكان ميدان الجهاد أبرز الميادين لهذا البذل: لما خرج رسول الله ﷺ إلى «أحد» وعرض عليه أصحابه رد من استصغر منهم، وكان ممن ردّهم سمرة بن جندب، وأجاز رافع بن خديج، فقال سمرة بن جندب لربيبه مري بن سنان: يا أبت، أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردّني! وأنا أصرع رافع بن خديج، فقال مري بن سنان: يا رسول الله: رددت ابني وأجزت رافع بن خديج، وابني يصرعه، فقال النبي ﷺ لرافع وسمرة: «تصارعا»، فصرع سمرة رافعاً فأجازه[2].

بطبيعة الحال يذكر التاريخ أسامة بن زيد، حيث تولى بأمر رسول الله قيادة الجيش، وكان ابن ثماني عشرة سنة، ورجع من غزوته مظفراً منصوراً، كما يذكر التاريخ فتوحاً قام بها الشباب من أمثال محمد بن القاسم الثقفي الذي وصف بأنه كان واحداً من عظماء الرجال في كل العصور، حيث كاد أن يصل إلى الصين فاتحاً وقد تولى القيادة وهو في السابعة والعشرين من عمره.

زيد بن ثابت اجتهاد يبلغ الذروة:

يقدر بعض علماء النفس السوفييت أنه لو أتيح للإنسان استعمال ٥٠٪ من قدراته العقلية لاستطاع أن يتعلم ٤٠ لغة، وأن يدرس في فصل واحد مساقات دراسية في عشرات الكليات[3]، هذا النموذج الذي لا يمكن تصوره كانت نماذجه حية في شباب الدعوة، نجد منهم زيد بن ثابت، فحين قدم النبي ﷺ المدينة كان زيد ابن إحدى عشرة سنة، وفي هذه السن المبكرة أمره النبي ﷺ أن يتعلم لغة اليهود العبرية، وكان زيد قد عرضه قومه على النبي ﷺ، ليسمع منه بعض ما يحسنه يقول: فقرأت على رسول الله ﷺ، فأعجبه ذلك، وقال: «يا زيد، تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمنهم على كتابي».

قال: فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم.

خمسة عشر يوماً هي مجموع ما احتاجه زيد ليتقن لغة اليهود قراءة وكتابة! لا شك أنها همم طهر الإسلام نفوسها، وحرك كوامن القدرة فيها.

وإنا لنرى في دنيا الناس عشرات ممن يقبلون على الإسلام، وهم من غير العرب، فما تمضي عليهم شهور قليلة إلا وحفظوا كتاب الله كأبناء الإسلام، فالعبرة إنما تكون في العزيمة الصادقة والهمة التي تبغي الأجر وتريد السبق.

صقر قريش وتأسيس دولة الأندلس:

كانت دولة بني أمية قد سقطت وعبد الرحمن الداخل في التاسعة عشرة من عمره، ففر هارباً من موطن الخلافة خوفاً من تتبع العباسيين له، حتى وصل للمغرب، وظل يثابر حتى أقام لبني أمية إمارة كبيرة في الأندلس سنة ١٣٨هـ؛ أي أنه سيطر على الأندلس وجعلها مقراً لملكه وهو في الخامسة والعشرين من عمره، لم يسانده جيش، ولم تدعمه قوة، سوى أنه أعمل الحيلة وأحسن الإدارة، كان أبو جعفر المنصور يصفه

الإسلام حرك في الشباب وازع الفاعلية ونقلهم من مجتمع الغثاء إلى أمة الشهادة على الناس

الذين التفوا حول الدعوة في بواكيرها وأسهموا في التمكين لها جلهم من الشباب

زيد بن ثابت أتقن لغة اليهود في ١٥ يوماً فقط امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم

عبدالرحمن الداخل ركب البحر ودخل بلداً أعجمياً ومصّر الأمصار وجنَّد الأجناد وأقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه

بأنه «صقر قريش»، قائلاً: تخلص بكيده عن سن الأسنة وظباة السيوف، يعبر القفر، ويركب البحر، حتى دخل بلداً أعجمياً منفرداً بنفسه، فمصّر الأمصار، وجنّد الأجناد، ودون الدواوين، وأقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه، بحسن تدبيره وشدة شكيمته[٤].

محمد الفاتح عبقرية التخطيط:

ظلت الأجيال المسلمة تتحرك وفق أفق ما قرؤوه من نصوص الوحي، ومنها قوله ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»[٥]، استعصت القسطنطينية قروناً على المسلمين، لكن اليقين بفتحها لم يتطرق إليه شك في نفوسهم، حتى حان تحقيق النبوءة، وكانت على يد السلطان محمد الفاتح الذي ولد عام ٨٣٣هـ، وتنازل له والده عن الحكم عام ٨٥٥هـ، في الثانية والعشرين من العمر بدأت بالفاتح حياة حافلة بالجهاد والمثابرة.

محمد الفاتح تمكن من فتح القسطنطينية في الرابعة والعشرين من عمره بعد أن استعصت قروناً على المسلمين

رغم أن سيبويه مات بعد الثلاثين بقليل فإنه خرج على الأمة بكتابه «الكتاب» الذي يعد عمدة العربية

وكان الأفق الذي يتحرك به محمد الفاتح هو فتح المدينة التي صاحبتها البشارة النبوية، كان فتحها بنبوءة صادقة، عمل على تحقيقها تخطيطاً ومثابرة وجهداً، فحين حصّنها أهلها ومنعوا دخول السفن كان محمد الفاتح يمهد للسفن طريقاً برياً تتجاوز السلاسل الموضوعة لمنع السفن، بأن مهد الأرض وسوى في ساعات قليلة الطريق وأتى بألواح من الخشب دهنت بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاج السفن وجرها، وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من البيزنطيين، فتفادى بتمرير السفن براً الحاجز الحديدي الذي يمنع مرورها بالماء.

ويعقب مؤرخ غربي يسمى «دوكاس» على ذاك قائلاً: «ما رأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشيء الخارق، محمد الفاتح يحول الأرض إلى بحار تعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلاً من الأمواج، لقد فاق محمد الثاني بهذا العمل الإسكندر الأكبر»[٦].

تمكن محمد الفاتح من فتح المدينة عام ٨٥٧هـ، وحولها عاصمة الدولة، وكان عمره وقتئذ ٢٤ سنة.

لم يكن محمد الفاتح شذوذاً عن قاعدة، بل كان امتداداً لأمة أنجبت قطز ابن التاسعة والثلاثين صاحب صيحة «وإسلاماه» الشهيرة، يقول صاحب قصة الحضارة تعقيباً على انتصاره في «عين جالوت»: «زفّت البشرى إلى كل مكان في بلاد الإسلام وفي أوروبا نفسها، وابتهجت نفوس الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وكانت عاقبتها أن هزم المغول، ونجت بلاد الشام للمماليك، ولعلها أيضاً احتفظت للمسيحية بأوروبا»[٧].

تولى بيبرس بعد مقتل قطز العائد من انتصاره وكان عمره ٣٨ سنة، فقد ولد عام ٦٢٠هـ، وتقلد السلطنة عام ٦٥٨هـ، وتقول المصادر: إنه أحيا خلال حكمه الخلافة العباسية في القاهرة بعد ما قضى عليها المغول في بغداد[٨]، وأنشأ نُظُماً إدارية جديدة في الدولة، اشتهر بيبرس بذكائه العسكري والدبلوماسي، وكان له دور كبير في تغيير الخريطة السياسية والعسكرية في منطقة البحر المتوسط.

لم يتوقف عطاء الشباب في ظل القيادة، بل كان عطاء الشباب أوفر وأكثر في ميادين العلم قاطبة؛ علوم معارف الوحي والفلسفة وسائر العلوم الأخرى.

سيبويه عالم العربية الأكبر:

تتلمذ سيبويه على يد عالم العربية الخليل بن أحمد، ولما مات الخليل سعى سيبويه إلى عليّ بن نصر الجهضمي، فقال له: يا عليُّ، تعالَ نتعاون على إحياء علم الخليل فتقاعس عليٌّ، وخذَل سيبويه فيما أراده.. فانبَرَى بكُلّ ما في قلبه من الديانة والأمانة والحب والإخلاص، وجمع أشتات علم الخليل وخرج على الأمة بكتابه «الكتاب» الذي يعد عمدة العربية، فإذا علمنا أن سيبويه مات وقد جاوز الثلاثين بقليل، فكم كان عمره حين طلب العلم، وكم هي أمة عظيمة حين حمل لغتها وأتقنها وأتقن قواعدها من ليس من جنسها، وحين تلقت منه كتابه شاكرة له حاملة لجميله، دون أن تنظر لا لجنسه ولا لقوميته ولا لعمره.■

الهوامش

(١) أخرجه الحاكم (٤٢٤٩) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٢/٦١.

(٣) Frank Globe the Third Force، «New york: Pocket Books، ١٩٧٠»، P.١٥٩. نقلاً عن: أهداف التربية الإسلامية، لماجد الكيلاني، ص ٩٤.

(٤) البيان المغرب، للمراكشي: ٢/٥٩.

(٥) الحاكم (٨٣٠٠) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٦) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزنتونا، ص ١٣٥، نقلاً عن الدولة العثمانية للصلابي، ص ١٤٣.

(٧) قصة الحضارة، ول ديورانت: ١٤/٢٦٠.

(٨) السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي.

الشباب بالمنطقة العربية.. آفاق التنمية الإنسانية في واقع متغير (ملاحظات نقدية)

د. حسان عبدالله

دفعت حركة الشباب العربي في عام ٢٠١١م المؤسسات الفكرية والبحثية العالمية إلى الالتفات إلى قضاياه ومشكلاته وحاضره بصورة ملحوظة، ومن شواهد ذلك صدور تقرير التنمية البشرية العربية مختصاً بحالة «الشباب في المنطقة العربية ٢٠١٦م»، وهو أول تقرير ينشغل حصرياً بالشباب وواقعه وعلاقاته المتعددة والمتشابكة بالدولة والمجتمع، كما حاول أيضاً أن يطرح اقتراحات مستقبلية لتطوير واقع الشباب في العالم العربي.

التقرير يعترف بأسباب انتفاضات الشباب في البلدان العربية لكن بشيء من القلق والحذر

التقرير تجاهل أسباب فشل نموذج التنمية ودور المؤسسات الغربية والدولية

يتماهى التقرير مع النظرة الغربية المتطرفة في الربط بين الإسلام والعنف

يقع التقرير في ٢٧٦ صفحة من القطع الكبير، متضمناً ٨ فصول تتناول: الشباب والتنمية الإنسانية في البلدان العربية: تحديات مرحلة التحول، والقيم والهويات والمشاركة المدنية، والتعليم وسوق العمل، والديناميات الجديدة في إدراج الشابات وتمكينهم، والحالة الصحية والحصول على خدمات صحية، وآثار الحرب والنزاع العنيف على الشباب، والإقصاء والتنقل والهجرة، ومقترح لنموذج تنمية جديد جدير بالشباب في المنطقة العربية.

ملاحظات مبدئية على مرجعية التقرير:

تستمد تقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة -بصفة عامة- منظورها البحثي والقرائي للواقع من النموذج المعرفي الغربي أيًا كان المجتمع البحثي وخصوصياته الحضارية، فهو ينطلق من أفكار واتجاهات حركة الحداثة الأوروبية وتفاعلاتها في الواقع الغربي، وهو بذلك يتحيز لمنظور نهضوي واحد ويهمل الخصوصيات الحضارية والثقافية الأخرى الجديرة بالاعتبار، وكذلك فإن المسارات التي يقوم عليها التقرير تتعدد مضامينها بتعدد الثقافات، إلا أن التقرير يتحيز لمضمون واحد هو المضمون الغربي.

فهو على سبيل المثال؛ يضع المرأة كقضية «جنس» نوعي، وليست ضمن قضية «الإنسان» بصفة أساسية، ويطلق مؤشرات لتقدم وضع المرأة ربما تتناقض مع ثقافات وخصوصيات حضارية أخرى فيرى أيضاً، كما ورد في التقرير الحالي، مؤشر لباس المرأة وزيها كدليل على تمكين المرأة من عدمه في واقع المجتمع العربي، ومن ثم يشير التقرير باللوم على الثقافة العربية الموروثة فيما يتعلق ببعض التقاليد والعادات التي تنطلق بالأساس من مفهوم عقدي ارتبط بأنماط السلوك العربي وحولها إلى عادات وتقاليد! أو ما يتعلق بسن الزواج للنساء وكذلك، وهكذا في عدد من المؤشرات.

الشباب العربي ما بعد عام ٢٠١١م:

رغم أن التقرير يعترف بأسباب انتفاضات الشباب

في البلدان العربية؛ حيث يجد الشباب في العالم العربي صعوبة كبيرة في التعبير عن تطلعاتهم والانخراط بفاعلية في المجال السياسي، كذلك يعانون من الإقصاء الاجتماعي، فإنه (التقرير) يستخدم في هذا الجزء المخصص للحديث عن «الشباب العربي ما بعد عام ٢٠١١م» بشيء من القلق والحذر، ويستخدم كلمات توحي بالتردد في مؤازرة حقوق الشباب العربي الذين يمثلون حلم شعوبهم المشروع، وذلك من قبيل كلمات: «العنف، التوتر، المتطرفين، النزاعات التي تحددت صوابية العديد من المؤسسات والممارسات التي تسود في الدولة القومية».

فشل نموذج التنمية في المنطقة العربية:

أكد التقرير فشل نموذج التنمية الذي تتبناه الدولة العربية القومية في النصف الأخير من هذا القرن (الخطط التنموية الخمسية وغيرها) وآثار ذلك على الشباب، ومن أهم تلك الآثار: صعوبة الاستقلال المالي للشباب في مواجهة معدلات بطالة مرتفعة ووظائف غير مستقرة، الإقصاء المستمر للشابات، التأخير في تكوين الأسرة، التحديات الصحية.

ولا يشير التقرير إلى أسباب فشل نموذج التنمية ودور المؤسسات الغربية والدولية في ذلك، وحرص الغرب على إقامة تحالفات أو علاقات اقتصادية غير متكافئة مع العرب من حيث العدالة، فما زالت البلدان الغربية مركزاً للمواد الخام لاسيما البترول التي يهيمن الغرب على أغلبها من خلال شركاته، وتعاقداته مع الأنظمة العربية التي يكون هدفها في الأغلب سياسياً أكثر منه اقتصادياً، وهو إعطاء الشرعية للحكومات العربية التي تفتقد شرعيتها من شعوبها.

الشباب وصعود الحركات الإسلامية:

ينتقد التقرير صعود الحركات الإسلامية إلى الحكم بمعاونة الشباب -ورغم أنه صادر في ٢٠١٦م فإن البحوث لا تتحدث عن الثورات المضادة التي أقصت الإسلاميين في عام ٢٠١٣م وربما لأنها كتبت قبل ذلك- ويرى التقرير أن صعود الحركات السياسية الإسلامية أثار نقاشاً حاداً، وأحياناً مماحكاً وشقاقياً في فترة أحدث، حول قضايا اجتماعية أساسية: العلاقات بين الدين والسياسة، وما إذا كانت الحركات الإسلامية قادرة على الحكم بفاعلية، والرابطة بين القوى الدينية والمدنية واحتمالات (أو الرغبة) في إنشاء دولة دينية.. وتبقى هذه العقائد المتطرفة واللجوء إلى نزاعات مسلحة خياراً تأجج، ولربما تسعى في حالة إدراك أي تهديد للهوية الإسلامية، إلى تعريض مجتمعات عربية لخطر التفتت.

تؤكد هذه الرؤية للتقرير المنظور العلماني الغربي في تفسير واقع خصوصيته الثقافية والحضارية لا تؤمن بالعلمانية كما يطرحها الغرب (وهي فصل الدين عن شؤون الحياة)، وكذلك رؤية الغرب للدولة الدينية بحصرية هي دولة الكنيسة في العصور الوسطى، ويتماهى التقرير أيضاً مع النظرة الغربية المتطرفة في الربط بين الإسلام والعنف، ومن ذلك أيضاً محاولة تأسيس مفهوم «الهوية العلمانية» لدى بعض الشباب العرب رغم إقرار التقرير بصورة نقدية أن الالتزام الديني لا يزال شائعاً في بعض البلدان العربية.■

الاهتمام بآراء الشباب العربي.. الشكلي والفعلي

د. سامر أبو رمان

لعل أكثر ما يميز منطقتنا العربية فيما يتعلق بالفئات العمرية هو تركز النسبة الكبرى منها ما بين الطفولة والشباب، حيث لا تقل نسبة الشباب (١٥ - ٣٠ عاماً) عن الثلث في كل الدول العربية؛ وهو ما يشير لشبابية وحيوية منطقتنا، وما تحمله من بذور تقدمها وازدهارها وتأثيراتها المتنوعة، وتفرضه من طبيعة التعامل معها.

مع هذه المعطيات، يزداد الاهتمام الكبير بقضايا الشباب، بغض النظر عن طبيعة هذا الاهتمام، وطرقه وغاياته ومداه؛ فنجد جهات حكومية وهيئات وجهات غير ربحية، تعنى بهذه الفئة العمرية وتخصص الملتقيات والمؤتمرات والجوائز والمنح والفرص وحتى يوم للشباب وغيرها.

محرك فاعل

وفي خضم هذه التطورات ومع أحداث «الربيع العربي»، وما تبعه من تطورات قلبت منطقتنا العربية، أصبح ينظر لشريحة الشباب كمحرك فاعل، ليس فقط في الجوانب الاجتماعية، وإنما في التغيرات السياسية، وهو من أهم الدروس المستفادة، ولعل ما جاء في مقال سابق للشيخ محمد بن راشد آل مكتوم: «علمتنا منطقتنا، وعبر أحداث رهيبة مرت بها في السنوات الأخيرة، أن عدم الاستجابة لتطلعات الشباب، الذين يمثلون أكثر من نصف مجتمعاتنا العربية، هو سباحة في عكس التيار، وبداية النهاية للتنمية والاستقرار»، تعبر عن هذا الهاجس بشكل صريح ومباشر، بضرورة الاهتمام بالشباب بواقعية وحسن نية؛ من باب إرضاء طموحاتهم، وتلبية مطالبهم؛ للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والسياسي للبلاد، ولذا وجه حكومته بضرورة الاستماع للشباب، وأن تنقل له الحلول من وجهة نظر الشباب؛ حتى تستطيع الحكومة خلق بيئة أفضل لهم؛ ليستطيعوا تحقيق

أحلامهم وطموحاتهم.

ولذا يلاحظ زيادة مظاهر الاهتمام بالشباب ومعرفة توجهاتهم وطريقة التعامل مع تنفيذ بعض المشاريع التي سعت للبحث والتنقيب في عقول الشباب وما يفكرون به وفي ميادين ومجالات متنوعة، فهناك عدة مسوحات أطلقت خاصة للشباب على مستوى الدولة أو على المستوى العربي، وخصص مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني في السعودية عام ٢٠١٣م اللقاء الرابع من حوارات المركز للاستماع لمقترحات الشباب ووجهات نظرهم حول عدد من القضايا التي تهمهم، وتم تنفيذ دراسة خاصة حول تطلعات الشباب.

ومن الجوانب المهمة المرتبطة بالشباب وعلى صعيد البحث العلمي، معرفة الأولويات والاهتمامات بمختلف أنماطها؛ لذا اعتنت العديد من الدراسات واستطلاعات الرأي بالتعرف على هذه الأولويات والاهتمامات، واعتبارها ضرورة مُلحّة في الحاضر والمستقبل، بالإضافة لمواضيع أخرى، مثل: المشكلات التي تواجههم، والتعليم، وفرص العمل، والمسكن، والزواج، والانتماء، ومؤخراً الإرهاب والتطرف؛ مما أضفى على الاهتمام بقضايا الشباب بُعداً سياسياً وإستراتيجياً وأمنياً لا يمكن تجاهله، وأصبح البحث عن الشباب في محرك «جوجل» -على سبيل المثال- مرتبطاً بمشكلاتهم بما يوازي عشرين ضعفاً من إنجازاتهم، كما بينت بعض الدراسات.

وكما تأسس عدد من مراكز الدراسات المتخصصة في بحوث الشباب، وبعض الكراسي البحثية والمراكز في الجامعات، وانطلقت بعض المشاريع التي تقيس رأي الشباب العربي ومنها «استطلاع أصداء بيرسون مارستيلر للشباب العربي» (ASDA'A Burson-Marsteller Arab Youth Survey) منذ عام ٢٠٠٨م، وكما أجرى مركز الجزيرة للدراسات استطلاعاً لرأي الشباب في بلدان «الربيع العربي» لمعرفة توجهاتهم إزاء تطورات أوضاع بلدانهم بعد الثورة، وشمل الاستطلاع دول «الربيع العربي» الأربع: تونس، مصر، ليبيا، اليمن، وبحث أربعة محاور توزعت على قضايا الهوية والانتماء وأسباب الثورة وعوامل نجاحها وتقييم الثورة ومستقبلها.

وفي عام ٢٠١٦م أجرت مؤسسة طابة ومقرها الإمارات العربية المتحدة استطلاعاً عن مواقف جيل الشباب العربي المسلم من الدين وعلمائه ودعاته.

وبالنظرة المتعمقة والتحليلية لتلك الجهود الحكومية وربما غيرها، نجد أنها تتصف بالموسمية؛ حيث يبدو أن الاستماع للشباب ما زال يتأثر بالأزمات وسد الفجوات وملء الفراغات، الحادث منها والطارئ، أكثر من أن يكون مشروعاً إستراتيجياً دورياً ممتداً لعشرات السنين، وكما أن ثمة توظيفاً للنتائج بطرق إيجابية ينبغي تعزيزها، وسلبية أحياناً ينبغي تجاوزها.

وفي الواقع، يبدو أنه ليس الحكومات فقط هي من تهتم بالشباب، فقد جاء في إحدى نتائج استطلاع رأي مركز الآراء الخليجية مؤخراً لعام ٢٠١٨م حول الصورة الذهنية عن جمعية الإصلاح الاجتماعي بأن الفئة التي يطالب المجتمع الكويتي الاهتمام بها أكثر هي فئة الشباب بنسبة تفوق ثلاثة أضعاف غيرها من الفئات، وهو ما يدل على أهمية فئة الشباب ودورها وتأثيرها على المجتمع.■

الشباب محرك فاعل ليس فقط في الجوانب الاجتماعية وإنما في التغيرات السياسية

الجهود الحكومية تتصف بالموسمية فالاستماع للشباب ما زال يتأثر بالأزمات

استطلاع:

الفئة التي يطالب المجتمع الكويتي الاهتمام بها أكثر هي الشباب

عملية «غصن الزيتون».. نتائج ودلالات

د. سعيد الحاج

مع سيطرة القوات التركية ومجموعات الجيش السوري الحر المشاركة معها على قلب مدينة عفرين في الثامن عشر من مارس الماضي، تكون عملية «غصن الزيتون» قد شارفت على نهاياتها من الناحية العملية، وهو ما يتيح إجراء عملية تقييم أولية سريعة ومحاولة استشراف لخطوات أنقرة القادمة.

تمت السيطرة على مدينة عفرين في ذكرى معركة «جناق قلعة» البحرية التي انتصرت فيها الدولة العثمانية على دول الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى، وهي المعركة التي تحتفل بها تركيا سنوياً تحت مسمى «يوم الشهداء»، وهو معنى رمزي مهم وقد يكون مقصوداً لذاته.

يمكن تقييم نتائج ودلالات العملية العسكرية التركية من زوايا نظر ثلاث:

أولاً: عسكرياً:

بلغة الأرقام، أعلنت المصادر التركية عن «تحييد» أكثر من ٣٧٠٠ عنصر من وحدات حماية الشعب (YPG)، الذراع العسكرية لحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، في العملية حتى تاريخ كتابة هذه السطور، في مقابل مقتل ٤٩ جندياً تركياً، و١١٥ مقاتلاً من الجيش السوري الحر، وأعلنت القوات المسلحة قبل دخول عفرين عن سيطرتها على ١١٠٢ كلم٢ خلال العملية حتى الآن، بما يشمل ٢٤٢ منطقة، منها ٢٠٣ قرى، و٣٩ «نقطة حساسة»، وهي أرقام مرشحة للارتفاع الملحوظ مع نهاية العملية رسمياً بسبب تسارع عملية السيطرة على القرى والنواحي بعد السيطرة على عفرين.

مع نهاية العملية، تكون تركيا قد أنهت تماماً سيطرة وحدات الحماية على منطقة عفرين (الكانتون الغربي)، ومنعت وصولها إلى مياه المتوسط، كما يتطلب مشروعها السياسي في الشمال السوري، هكذا تكون أنقرة قد وجهت ضربة قوية لمشروع حزب الاتحاد القائم على تأسيس دويلة أو ممر شمال سورية تحت مسمى الفدرلة أو التقسيم أو الإدارات الذاتية، وهي الضربة الثانية بعد عملية «درع الفرات» التي منعت التواصل الجغرافي بين الكانتونات الشرقية والغربية للحزب، لكن ذلك لا يعني نهاية المشروع، وإنما انتقال المواجهة إلى المرحلة التالية.

وقد أمّنت تركيا بذلك أمن حدودها في تلك المنطقة، ومنعت تسلل المسلحين إلى الداخل التركي مباشرة أو عبر المتوسط، كما رفعت بشكل ملحوظ المساحات الجغرافية التي تسيطر عليها مجموعات الجيش السوري الحر المدعومة من قبلها، وهذا له دلالاته وأثره في المعادلة الميدانية المنعكسة على المسار السياسي.

ثانياً: سياسياً:

استطاعت تركيا إطلاق عمليتها والاستمرار بها والاقتراب من قطف ثمارها وتحقيق أهدافها دون تعرضها لضغوط مؤثرة، فقد نسجت حول عمليتها شبكة أمان سياسية وقانونية، حين وضعتها في سياق الدفاع المشروع عن النفس ومواجهة المنظمات «الإرهابية»، وفق المادة رقم (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، وقرارات مجلس الأمن رقم (١٦٢٤) عام ٢٠٠٥م، و(٢١٧٠) عام ٢٠١٤م، و(٢١٧٨) عام ٢٠١٤م.

من جهة أخرى، كانت التفاهمات التي أبرمتها أنقرة مع موسكو خلال زيارة رئيسي أركان الجيش وجهاز الاستخبارات خلوصي أكار، وحاقان فيدان، إلى الأخيرة قبيل إطلاق العملية كفيلة بتعاون روسيا من خلال سحب قواتها من المنطقة، وضبط رد فعل النظام، وعدم معارضة طيران المقاتلات التركية في الأجواء السورية التي تسيطر عليها روسيا.

وبالتالي، لم تكن التحفظات الأمريكية والجهود الفرنسية قادرة على إحداث ضغط حقيقي على أنقرة قادر على إعاقة العملية أو إيقافها أو التشويش عليها، لا سيما وأن واشنطن لا تملك قوات عسكرية على الأرض في عفرين، أكثر من ذلك، فعملياً وواقعياً يبدو أن هناك تفهماً دولياً من عدة أطراف أكثر من ذي قبل لاحتياجات تركيا الأمنية ومتطلبات ذلك في الشمال السوري.

ولعله من المفيد الإشارة إلى إجماع الداخل التركي خلف العملية، على المستوى الشعبي والنخبوي ومؤسسات المجتمع المدني، وصولاً لأحزاب المعارضة باستثناء حزب الشعوب الديمقراطية (القومي الكردي) الذي يعتبر في تركيا على نطاق واسع كذراع سياسية لحزب العمال الكردستاني.

ثالثاً: الدعاية والإعلام:

خاضت تركيا العملية بحذر شديد، وسارت مراحلها الأولى ببطء ملحوظ لضمان تجنيب المدنيين في عفرين أضرار العملية العسكرية، كانت إستراتيجية وحدات حماية الشعب تقوم على استدراج تركيا لحرب شوارع وعصابات في قلب عفرين والبلدات المأهولة بالسكان، بحيث ترتفع أعداد القتلى بين صفوف الجيش التركي للضغط على الحكومة داخلياً، وأعداد الضحايا المدنيين للضغط عليها خارجياً.

كان مشهد دخول عفرين دون دمار ملحوظ وبأقل الكلف البشرية المحتملة نقطة تحسم الموقف لصالح تركيا، في ظل مقارنات قامت بين مشهد عفرين من جهة، ومشاهد الموصل وحلب والرقة من جهة أخرى.

سيناريو «درع الفرات»

بعد السيطرة على قلب مدينة عفرين، يتوقع أن تسير عملية «غصن الزيتون» في مسارين رئيسين؛ الأول عسكري وهو عبارة عن استكمال تحرير القرى والمناطق الواقعة جنوب وشرق عفرين، بما في ذلك القرى العربية التي سيطرت عليها الوحدات في عام ٢٠١٦م وأهمها تل رفعت ومطار منغ.

وفيما يتعلق بتل رفعت ومنغ تحديداً، تبدو أنقرة مصرة على إخراج وحدات الحماية منها، بينما سربت أخبار عن تسليمهما لقوات النظام؛ ما يضع تحديات أمام سيطرة تركيا عليها؛ وبالتالي، فإن مصير المنطقتين مرهون بالتفاهمات التي قد تبرمها أنقرة مع موسكو، ومدى رغبة الأخيرة في إبقائهما في حوزة النظام، مع طمأنة تركيا على خروج الوحدات منهما أو عدم ممانعتها بدخول الجيشين التركي والسوري الحر لهما.

وأما المسار الثاني، الإداري لتلك المناطق، فهو الذي يبدأ بعد انتهاء الأعمال العسكرية مباشرة، من حيث إزالة الألغام وضبط الأمن وإعادة السكان ثم مشاريع البنية التحتية والتعليم والصحة وغيرها من القطاعات، في سيناريو شبيه لما حصل في مناطق «درع الفرات» بعد انتهاء العملية في مارس ٢٠١٧م.

تركيا أعلنت قبل دخول عفرين عن سيطرتها على ٢٤٢ منطقة منها ٢٠٣ قرى و٣٩ نقطة حساسة

أمّنت تركيا أمن حدودها ومنعت تسلل المسلحين إلى داخلها ورفعت المساحات الجغرافية للجيش السوري الحر

تضع أنقرة عملية «غصن الزيتون» كمحطة ضمن رؤية متكاملة لمواجهة مشروع حزب الاتحاد الديمقراطي في سورية، ومن قبله حزب العمال الكردستاني في تركيا والمنطقة، وبالتالي فهي خطوة لاحقة على عملية «درع الفرات»، وتسبق خطوات لاحقة في مناطق أخرى.

أولى المحطات التي ترغب تركيا في حسمها هي منبج غرب نهر الفرات، التي كانت الولايات المتحدة قد تعهدت بخروج قوات سورية الديمقراطية (قسد) منها قبل أن تتصل من ذلك، وكانت تركيا قد صاغت تفاهمات أولية حول خروج «قسد» منها مع وزير الخارجية الأمريكي السابق «ريكس تيلرسون»، الذي جعلتها إقالته في مهب الريح، بيد أنه لا يتوقع أن تتجاهل واشنطن تماماً التحفظات التركية المقرونة بتهديد واضح بعملية عسكرية مشابهة في منبج، خصوصاً أن الأخيرة تقع خارج مناطق اهتمام واشنطن وإستراتيجيتها التي تشمل البقاء في المناطق شرق الفرات.

المنطقة الثانية التي تتحدث عنها أنقرة هي سنجار شمال غرب العراق قرب الحدود السورية العراقية، التي سيطر عليها حزب العمال الكردستاني خلال المعارك مع «داعش»، تحاول تركيا إقناع حكومة بغداد المركزية بضرورة مواجهة حزب العمال هناك، خصوصاً وأنها تشترك مع تركيا -وإقليم كردستان العراق- برفض سيطرته على سنجار؛ وبالتالي، فالمنطقة مرشحة لعملية عسكرية عراقية، أو عراقية تركية وفق ما تقول أنقرة، لكن ذلك لا يعني بالضرورة عملية عسكرية برية شبيهة بـ«درع الفرات» و«غصن الزيتون»، بل قد تكون على شكل قصف جوي مركز يحرم العمال الكردستاني من القدرة على الحشد والتدريب وإطلاق العمليات والاستقرار في المنطقة، لكن ذلك مرشح للتأجيل حتى ما بعد الانتخابات العراقية في مايو المقبل.

يبقى في الحسبان دائماً معقل حزب العمال الكردستاني الرئيس في جبال قنديل، الذي تتعامل معه أنقرة وفق إستراتيجية الإشغال الدائم، من خلال القصف الجوي المتواصل، ولا يتوقع أن يتغير التعامل التركي معه في المستقبل القريب.

في المحصلة، تبدو تركيا وقد حققت انتصاراً عسكرياً وسياسياً لها، يزيد من نفوذها الميداني ويدعم أوراق قوتها على طاولة التفاوض السياسية بخصوص مستقبل سورية، وتستفيد منه مجموعات الجيش السوري الحر والمعارضة السورية نسبياً، في ظل واقع القضية السورية المعقد والمفتوح على عدة احتمالات ليس من ضمنها الحل السريع والمرضي لجميع الأطراف حتى الآن.■

التغريبة الغوطانية.. آلاف المهجرين من غوطة الشام إلى إدلب

«ربّما هذه الساعات الأخيرة لي على ثرى الغوطة، سأخرج وقلبي يعتصر ألماً على فراقكما وفراق من سبقنا إلى رحمة الله».. بهذه الكلمات ودّع مضر الغوطة الشرقية مهجّراً إلى الشمال السوري، ولم يجفّ قبر زوجته وطفلته اللتين ارتقيتا في قصف على مدينة عربين.

عمار حمو

هجر مُضر أرضه مكرهاً بعد سبع سنوات ثورة، منها ٥ عجاف، حيث تعرضت الغوطة الشرقية لحصار منذ مطلع عام ٢٠١٣م، لاقى أهلها صنوف العذاب من نقص في الطعام والشراب، وتوفي العشرات لنقص الدواء والعلاج، وحصد قصف نظام «الأسد» أرواح آلاف المدنيين.

وبدأ مسلسل التهجير في مدينة حرستا بالغوطة الشرقية في ٢١ مارس ٢٠١٨م، بعد اتفاق بين أحرار الشام والجانب الروسي، يقضي بخروج العسكريين (الثوار) بسلاحهم ومن يرغب من المدنيين إلى الشمال بضمانات روسية، وإعطاء ضمانات للأهالي الراغبين بالبقاء في المدينة بعدم التعرض لهم، والحفاظ على مكون المدينة دون تهجير أو تغيير ديموجرافي، وتم الخروج في الثاني والعشرين من الشهر ذاته، وبحسب عضو في المجلس المحلي لمدينة حرستا لـ«المجتمع»، بلغ عدد المهجرين من حرستا ١٢٨٠٠ شخص بين نساء وأطفال ورجال.

وبعد يوم واحد على خروج المهجرين من حرستا، توصل فيلق الرحمن مع الجانب الروسي إلى اتفاق يتشابه في بنوده، ولكنه يضم عدداً من مدن وبلدات القطاع الأوسط في الغوطة الشرقية، وخلال ٢٤ ساعة من توقيع الاتفاق بدأ العمل بموجب الاتفاق، وانطلقت الحافلات إلى الشمال السوري، وتجاوز عدد المهجرين حتى إعداد هذا التقرير ٢٣ ألف شخص، ولا يزال إخلاء المدنيين مستمراً.

عمليات التهجير من الغوطة الشرقية كانت أشبه بصفعة في وجه ثوار سورية والدول الداعمة لثورة الشعب السوري في مواجهة الظلم والاستبداد، ومن أجل تحقيق مطالب الشعب السوري بالحرية والعدالة، لا سيما أن للغوطة أهمية إستراتيجية ورمزية على الخارطة السورية، فموقع الغوطة الشرقية على خاصرة العاصمة دمشق، تعدّ مصدر خطر لنظام «الأسد»، وقوة للمعارضة السورية، كما أنها من أكثر المناطق الثائرة قوة وتنظيماً.

لم يبق في الغوطة الشرقية تحت سيطرة الثوار إلا مدينة دوما، وهي عاصمتها، حيث رفض جيش الإسلام، الفصيل المسيطر عليها، عمليات التهجير كما حصل مع أسلافه أحرار الشام، وفيلق الرحمن، ورغم استمرار المفاوضات بينه وبين الجانب الروسي فإن الناطق باسم جيش الإسلام قال لـ«المجتمع»: مفاوضاتنا على البقاء وليس على التهجير، معتبراً أن التهجير خطّ أحمر بالنسبة لهم، ولم يتضح حتى الآن إذا ما كان سينجح جيش الإسلام في وقف نزيف «التهجير» من الغوطة الشرقية وحقن دماء عشرات الآلاف من المدنيين الصامدين في المدينة، حيث يراهن من خلال مفاوضاته مع الروس على التوصل إلى اتفاق لا يحمل بين بنوده «التهجير»، ويتوصل إلى صيغة لوقف إطلاق النار.

وجاءت مفاوضات الثوار ونظام «الأسد» (يمثله وفد تفاوض روسي) بعد حملة عسكرية كبيرة، أطلقها نظام «الأسد» أواخر ديسمبر ٢٠١٧م، بمساندة من الطيران الروسي، استخدما فيها مختلف أنواع الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، ومنها أسلحة محرمة دولياً، ما أدى إلى مقتل أكثر من ١٧٧٠ مدنياً، وإصابة الآلاف بجروح، وسيطر النظام برياً على أكثر من ثلثي أراضي الغوطة الشرقية.

وفي الأيام الأخيرة للحملة العسكرية لنظام «الأسد»، فتح ما أسماه «ممرات إنسانية» لخروج المدنيين من مناطق المعارضة إلى مناطق سيطرته، متعهداً بعدم التعرض للمدنيين، وتسوية أوضاع من اعتبرهم «مخالفين»، وخرج الآلاف إلى مناطق سيطرته، ولكنه لم يلتزم بتعهداته، وقام باعتقال مئات المدنيين بتهم «الإرهاب»، وساق آخرين إلى الخدمة العسكرية، وانتشرت فيديوهات توثق تعذيب عناصر النظام لمدنيين خرجوا عبر معابره الإنسانية!■

في افتتاح المهرجان الثقافي بمناسبة ٢٥ عاماً على تأسيسها..

الجالية السريلانكية: الكويت رائدة في رعاية الجاليات المقيمة بها

كتب: سعد النشوان

عقدت الجالية السريلانكية في الكويت، أواخر شهر مارس الماضي، المهرجان الثقافي بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على إنشائها تحت شعار «شكراً دولة الكويت» في المسجد الكبير برعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير العدل المستشار د. فهد العفاسي، وبحضور وزير الثقافة والشؤون الإسلامية وزير خدمات البريد السريلانكي عبدالحليم محمد هاشم.

وقال خليف الأذينة، وكيل الوزارة المساعد للتنسيق الفني والعلاقات الخارجية والحج، الوكيل المساعد للشؤون الثقافية ندباً، في كلمة نيابة عن الوزير: إن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة بإدارة المسجد الكبير ومراقبة الجاليات والمهتدين الجدد تقوم برعاية الجاليات المقيمة في الكويت الناطقة بغير اللغة العربية، مضيفاً أن هذه الرعاية من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية والرياضية؛ وذلك تحقيقاً لرؤية الوزارة في خطتها الإستراتيجية التي تنص على الريادة عالمياً في العمل الإسلامي.

وأشار الأذينة إلى أن الأنشطة المختلفة التي تقوم بها إدارة المسجد الكبير وفق برنامج منظم يتضمن المهرجانات والملتقيات الثقافية والدورات التدريبية، وإقامة خطب الجمعة بغير اللغة العربية في ٩٦ مسجداً بالكويت، مبيناً أن ذلك من أجل تحقيق وتفعيل دور المسجد الكبير باعتباره مركز إشعاع دينياً وثقافياً واجتماعياً وتربوياً.

واعتبر أن هذه المهرجانات الثقافية تهدف إلى إشاعة روح الأخوة والتعاون والشراكة، حيث تكمن أهميتها بأنها تمد جسراً للتواصل بين الدولة وأبناء الجالية لمشاركة إرثهم وثقافتهم وإعطاء صورة مشرقة عن بلدهم.

وأكد الأذينة أن الجالية السريلانكية في الكويت يعيشون بيننا في أمن وأمان، كما ارتبطت الكويت منذ الأزل بعلاقات مع مختلف الشعوب والدول، مبيناً أن الكويت تحمل رسالة التعايش السلمي والوئام والأخوة، وقد اتضح ذلك جلياً في استيعاب كل الأطياف والديانات والجاليات على أرضها والمساعدات الخيرية والإنسانية التي تقدمها الكويت لمختلف الدول والشعوب في العالم، حتى نالت الكويت ثناء العالم أجمع واعتراف المنظمات العالمية بها «مركزاً للعمل الإنساني»، وأميرنا المفدى الشيخ صباح الأحمد «قائداً للعمل الإنساني».

وفي كلمة لمنسق الجالية السريلانكية لدى وزارة الأوقاف الشيخ محمد إسماعيل منصور قال فيها: ننطلق من الشعار الذي اتخذناه لمهرجاننا وهو «شكراً أهل الكويت» لنؤكد حقيقة مهمة؛ وهي أن الكويت مهد آمن للمواطنين والمقيمين سواء بسواء، وليس أدل على ذلك من أن كل جالية تتمتع بثقافتها وعاداتها وتقاليدها، وتنفذ فعالياتها على هذه الأرض الطيبة.

وأضاف منصور: الكويت رائدة في رعاية الشعوب المقيمة بها، والعمل الخيري شيمة أهل الكويت، ولولا رعايتهم لنا لما اجتمعنا هنا اليوم.

وأوضح منصور أنه من منطلق أهمية توعية الجالية السريلانكية المسلمة بتعاليم الإسلام، بغية المحافظة على توثيق صلتهم بالدين والمواظبة على العبادات والمحافظة على تمسكهم بأخلاق الدين الحنيف، دعت الحاجة إلى إنشاء جالية لمسلمي سريلانكا العاملين بالكويت عام ١٩٩٢م لتنظيم العمل الدعوي والتوعوي بين أبناء الجالية، لافتاً إلى أن اللجنة من أوائل الجاليات العاملة في العمل الدعوي والتوعوي بالكويت تحت مظلة ورعاية وإشراف السادة مراقبة الجاليات بإدارة المسجد الكبير.

واعتبر منصور الاهتمام بأمر الجاليات يعود على المواطنين والمقيمين بكل الخير، وأن ما تقوم به لجنة «اقرأ» تجاه الجالية السريلانكية ما هو إلا جزء من الواجب؛ لأنه كلما زاد الوعي الديني للجالية يزيد الكفلاء أمناً، داعياً الجهات المعنية وفي مقدمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ثم الجهات الخيرية المزيد من التشجيع والتبني للجاليات وأنشطتها، مادياً ومعنوياً لمساعدتها على القيام بدورها تجاه أبنائها في المجتمع الكويتي، بما يعود بالخير على الوطن والمواطنين والمقيمين.■

تفاعلات الأزمة بين أكبر المنظمات العمالية والحكومة.. إلى أين؟

الأمين العام المساعد للاتحاد العام التونسي للشغل لـ«المجتمع»: لم نطالب بتغيير الشاهد

تونس: عبدالباقي خليفة

تمر العلاقة بين الاتحاد العام التونسي للشغل أكبر منظمة نقابية في البلاد، وحكومة يوسف الشاهد، بأزمة حادة على وقع العديد من الملفات، منها دعوة الاتحاد إلى ضخ دماء جديدة في الحكومة، والأزمة المستفحلة بين وزارة التربية والتعليم، ونقابة التعليم الثانوي، والخلاف حول التفويت في المؤسسات العمومية (الخصخصة) ومشروع قانون الإعلام السمعي البصري، الذي يطالب الاتحاد بسحبه، ثم مطالب الاتحاد بالتحقيق في الأنباء حول الاتفاقات التي أمضتها السلطة التونسية مع فرنسا بخصوص الثروات الباطنية كالملح والفوسفات والنفط بأثمان بخسة بل رمزية جداً، وفق ما أورده الأمين العام المساعد للاتحاد العام التونسي السيد بوعلي المباركي.

حول دوافع الاتحاد العام التونسي للشغل للمطالبة بضخ دماء جديدة في حكومة يوسف الشاهد، قال الأمين العام المساعد بوعلي المباركي لـ«المجتمع»: المطالبة جاءت بناء على معطيات ومن خلال الأداء، وهذا ما نلاحظه حتى في لعبة كرة القدم، فاللعب الجيد لا يبرر النتائج السلبية، واللعب الجميل بدون نتائج ونجاح لا قيمة له، وتابع: بقينا ننتظر النتائج مدة عام ونصف العام، ونراقب الأداء، وعملية انطلاق التنمية، ولاحظنا أن النتائج دون المأمول والمتوقع، بما في ذلك محاربة الفساد، وهو ما يتطلب إدخال بعض الإصلاحات وضخ دماء جديدة في الحكومة.

ونفى بوعلي المباركي أن تكون هناك علاقة بين المطالبة بضخ دماء جديدة والانتخابات البلدية في ٦ مايو القادم، من المستحسن عدم ربط المطالبة بضخ دماء جديدة بالانتخابات البلدية القادمة، وما يهمنا هو أوضاع البلاد.

وأكد أن الاتحاد العام التونسي للشغل لا يطالب بتغيير رئيس الحكومة، فهذا مطلب أطراف سياسية أخرى، وإنما مطلبنا كان من وحي تدهور الأوضاع، والبلاد تتجه نحو وجهة خاطئة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي.

وحول مشروع قانون الاتصال السمعي البصري الذي يمثل

مشروع قانون الاتصال السمعي البصري يكرس الاستبداد ووضع الوصاية على الإعلام

لا يمكن للدولة أن تكون بدون أذرع مالية من خلال المؤسسات العمومية

نقطة خلافية، أشار المباركي إلى أن مشروع القانون يكرس الاستبداد، ووضع الوصاية على الإعلام، وهي القيمة الوحيدة التي حققناها في تونس، بمعنى حرية التعبير، ونحن ندافع عن هذه القيمة وعن الحريات وفي مقدمتها حرية الإعلام، وعلى الإعلام أن يقوم بدوره في توضيح الصورة، وإيصال المعلومة الصحيحة، ويلتزم الحياد.

من النقاط التي أكد الاتحاد العام التونسي للشغل أنها قضية لا يمكن المساس بها، هي نية التفويت في المؤسسات العمومية، التي تكبد الدولة خسائر كبيرة، وفق معطيات الحكومة، وفي هذا الخصوص أشار المباركي إلى أن الخلاف في نظرة البعض للمؤسسة العمومية كإشكال، ونحن ننظر للمؤسسة العمومية كمشروع، وهذا المشروع يتطلب خطة ليكون ناجحاً، هناك شروط يجب أن تتوافر في المؤسسة العمومية لتكون ناجحة، وتكون ذراعاً مالية للدولة، لأنه لا يمكن للدولة أن تكون بدون أذرع مالية من خلال المؤسسات العمومية، وموقفنا واضح، من خلال النظرة للمؤسسة العمومية كمشروع يتطلب خطة إستراتيجية، والنظر لكل مؤسسة على حدة، والاتحاد قادر على تقديم مقترحاته للحكومة في هذا الخصوص، وأضاف: هذا مرفق عمومي كان له دوره عبر أجيال، ولا بد من الدفاع عنه، ولا بد من خطة استثمارية في هذا المجال.

أزمة التعليم

واتهم المباركي من يروجون بأن نقابات التعليم تقضي على التعليم العمومي، من خلال دفع الأولياء لتسجيل أبنائهم في المدارس الخاصة، بسبب أزمة التعليم العمومي بأنهم «يصطادون في الماء العكر»، وأن نقابة التعليم الثانوي استجابت لدعوة الوزارة للتفاوض، لكنها لم تقبل المفاوضات المشروطة، وأن النقابات تدعو للنظر في الوضع العام للتعليم وإصلاح المنظومة التربوية بصفة عامة، وتوفير فرص متكافئة لكل أبنائنا، وهذه المسطرة الحقيقية للخلاف، ودعكم مما يقال هنا وهناك.

وأردف: رجال التعليم يعانون من ظروف صعبة، ويعملون في أجواء سيئة، وكان قد تم الاتفاق على أن يكون ٢٠١٨ عام الانطلاق على مستوى المنظومة التربوية، وقد مرت ٣ أشهر على ذلك ولم نرَ شيئاً، انظروا حال البنية التحتية للمؤسسات التربوية، انظروا حال بعض المؤسسات على مستوى العدد المطلوب من الكوادر، بعض المدارس نوافذها بدون بلور، المدرسون النواب يتلقون رواتب زهيدة وتمضي أشهر دون أن يتلقوا المليمات التي يتقاضونها، ويعملون وهم في حالة قلق على مستقبلهم المهني، وهذا هو ما تطالب به النقابات، وهذا يذكرنا بما تحدثت فيه آنفاً حول نظرتنا للمؤسسة العمومية كمشروع.

واتهم وزارة التربية والتعليم بأنها ترفض التفاوض؛ لأن المفاوضات في جميع أنحاء العالم تتم دون شروط، على حد قوله، وشدد على أن رغبة الاتحاد في التفاوض قائلاً: النقابة لا تزال يدها ممدودة، ولن تكون هناك سنة بيضاء، وهذا ما نؤكده للرأي العام.

معركة الاستقلال

حول ما أثير مؤخراً بخصوص وجود اتفاقات مع فرنسا تمكنها من الثروات الباطنية لبلادنا بدون مقابل أو بمقابل بخس ككيلو الملح بفرنك

رجال التعليم يعانون ظروفاً صعبة ويعملون في أجواء سيئة

متمسكون بدعوة الحكومة لاسترداد ديون الدولة على بعض رجال الأعمال والمؤسسات

فرنسي، أفاد المباركي أن الأنباء كانت مفاجئة، قائلاً: هذا أمر خطير جداً، ولا بد من فتح تحقيقات والكشف عن حقيقة هذه الاتفاقات، لأن الدفاع عن استقلال تونس مطلب وطني، ولا بد من تحرك، وأقولها بصراحة: نحن فوجئنا بهذا الملف ونعتبره جزءاً من استقلالنا وسيادة وطننا؛ لأن استقلالنا لا يزال إلى الآن منقوصاً، واستدرك: نحن لم نتأكد من ذلك، ولكننا دعونا للتحقيق والتثبت ومحاسبة كل من تورط وكان سبباً في ذلك.

وجدد المباركي تمسك الاتحاد بدعوة الحكومة لاسترداد ديون الدولة على بعض رجال الأعمال والمؤسسات، وسداد الدولة لديون المؤسسات العمومية، كما جدد تمسك الاتحاد بالحوار مع الحكومة ومواصلة المفاوضات، بما يخدم مصلحة البلاد واستقرارها، وهو ما يضعه الاتحاد في عين الاعتبار، على حد قوله، مضيفاً: يعنينا الوضع الاقتصادي، والاجتماعي، يعنينا الوضع الأمني، يعنينا شعبنا وشبابنا، وهذا الشأن العام يعني كل تونسي، ونحن ندعو للحوار، ولأن يكون الشأن العام قضية رأي عام، يشارك فيه الجميع بالاقتراح والحوار، والتوافق. ■

المدير العام لدار الرعاية الإسلامية بلندن توفيق قاسمي لـ«المجتمع»:

نسبة المسلمين في بريطانيا زادت ٢٥٪.. ونستقبل ١٥ ألف زائر أسبوعياً

كشف المدير العام لدار الرعاية الإسلامية بلندن توفيق قاسمي أن أول مركز أنشئ في بريطانيا كان بتبرع كويتي من المغفور له بإذن الله العم عبدالله المطوع يرحمه الله، مؤكداً إقامة دار الرعاية الإسلامية علاقات مميزة مع الحكومة المحلية والبلديات بصفة خاصة، حيث تقوم الدار بتنفيذ مشروعات اجتماعية وثقافية للبلدية؛ مثل محو الأمية وتعليم النساء والمهاجرين اللغة الإنجليزية وإدماجهم في المجتمع.

أشار قاسمي في حوار له مع «المجتمع» إلى أن أبرز التحديات التي توجههم التحدي المالي، بعد أن تجاوز عدد المسلمين هناك ٤ ملايين، وهم بحاجة إلى مراكز إسلامية واجتماعية خدماتية.

أما التحدي الثاني -حسب قاسمي- فيتمثل في الإرهاب، خاصة بعد ما حدث العام الماضي من حادثة الدهس أمام أحد مراكز دار الرعاية، وما تبعه من تراجع عدد المسلمين الجدد عن دينهم.

حوار: سامح أبوالحسن

● بداية، نريد أن نتعرف على دار الرعاية الإسلامية، وكيف بدأت؟

– دار الرعاية الإسلامية هي مؤسسة خيرية مسجلة لدى الحكومة البريطانية، بدأ نشاطها في عام ١٩٨٦م من خلال مجموعة من الطلبة المسلمين الذين أتوا من بعض الدول العربية، ولم يكن هناك حينئذ مراكز اجتماعية أو ثقافية أو إسلامية أو ديوانيات للطلبة، فقاموا بالتفكير في إنشاء مراكز يجتمع فيها الطلبة، ويقومون بالصلاة فيها وتقدم لهم خدمات دينية واجتماعية.

فالرعاية الإسلامية كانت في الأصل لرعاية الطلبة، لكن بعد ذلك استوطن هؤلاء الطلبة في بريطانيا فتغيرت أهداف المراكز الإسلامية إلى خدمة وتوطين الإسلام والمسلمين، ولدينا مع الرحمة العالمية بجمعية الإصلاح الاجتماعي بروتوكول تعاون، حيث قامت الرحمة العالمية بإنشاء العديد من المراكز الإسلامية ومركز المهتديات الجدد الذي يعد مركزاً لإيواء المهتديات الجدد اللاتي يدخلن الإسلام، بالإضافة إلى مسجد فاطمة، كما تقوم على تمويل أنشطة إنسانية وخيرية عبر مشروع «نور على نور».

● متى أنشئ أول مركز إسلامي في بريطانيا؟

– أنشأنا أول مركز عام ١٩٧٠م، وأول متبرع له كان العم عبدالله المطوع (أبو بدر) يرحمه الله، وأود أن أوضح أن فكرة دار الرعاية مبنية على تقسيم المركز الإسلامي إلى ثلاثة أقسام؛ الأول: المسجد، والثاني: الرعاية والخدمات الاجتماعية، والثالث: التربية والتعليم، كما أن هناك مجموعة كبيرة من الأخوات يأتين إلى دار الرعاية ونقوم بتقديم دورات مختلفة لهن، كما أن لدينا في لندن ٣٥٠ طالباً يتعلمون القرآن الكريم ومبادئ العقيدة الصحيحة، وهناك جانب اجتماعي.

● مَمَ يتكون المبنى الرئيس لدار الرعاية؟

– يتكون من مسجد للرجال والنساء وقاعات مختلفة للتدريس والتدريب وإدارة لهذا المبنى الذي كان مستودعاً للملابس، وأصبح الآن يؤمه ١٥ ألف زائر أسبوعياً، ونضطر في صلاة الجمعة لفتح كل الغرف حتى الساحة نضطر للصلاة فيها رغم هطول المطر والثلج، وفي يوم العيد نقسم صلاة العيد إلى ٤ أو ٥ مجموعات يصلون على مراحل، لضيق المكان؛ لذلك قامت دار الرعاية بتصميم مخطط جديد لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المسلمين.

● كم عدد المراكز التي تقوم دار الرعاية على الإشراف عليها؟

– دار الرعاية تشرف على ١٦ مركزاً إسلامياً، منها مركزان للمهتديات الجدد وضحايا العنف الاجتماعي أنشأتهما الرحمة العالمية؛ فنحن نعاني في بريطانيا من أن عدداً كبيراً من الناس يدخلون الإسلام لكن لا يثبتون على دينهم؛ لذلك كانت فكرة مراكز المهتديات الجدد.

● حدّثنا عن علاقة دار الرعاية بالسلطات في بريطانيا.

– لدار الرعاية الإسلامية علاقات مميزة مع الحكومة المحلية والبلديات بصفة خاصة؛ حيث تقوم الدار بتنفيذ مشروعات اجتماعية وثقافية للبلدية؛ مثل محو الأمية

وتعليم النساء والمهاجرين اللغة الإنجليزية، وإدماجهم في المجتمع، كما تقوم بمشروعات تخص الشباب لحمايتهم من الانحرافات، وبعض هذه المشروعات ممولة من البلدية، وتقوم بدورات توعوية وتثقيفية لعمال البلدية والشرطة في كيفية التعامل مع قضايا المسلمين، كما تقوم بالتنسيق مع البلدية بإقامة دورات لطلبة المدارس لتعريفهم بالإسلام، وتقوم أيضاً بتنظيم يوم مفتوح للجيران ولغير المسلمين لتعريفهم بأنشطة الدار الإسلامية والمسلمين تحت إشراف البلدية والشرطة، بالإضافة إلى احتضان ورش عمل للمصالح المختلفة للبلدية لتقريبهم من مشكلات الناس ولتسهيل حلها والترجمة، ومساعدة البلدية في تعبئة الاستمارات الخاصة بالخدمات العامة، كما قام الأمير «تشارلز» بزيارة دار الرعاية أكثر من مرة، وقامت رئيسة الحكومة البريطانية بزيارتها أيضاً.

● ما أبرز التحديات التي تواجه عملكم في بريطانيا؟

– هناك العديد من التحديات التي تواجه عملنا في بريطانيا، أبرزها التحدي المالي، خاصة أن عدد المسلمين في بريطانيا تخطى عتبة الـ٤ ملايين، وهم في حاجة إلى مراكز إسلامية لاستيعابهم، كما أنهم بحاجة إلى مراكز اجتماعية خدماتية وهي قليلة جداً، كما أننا بحاجة أيضاً إلى تفعيل بعض الخدمات الموجودة.

أما التحدي الثاني فيتمثل في الإرهاب، وما حدث العام الماضي من حادثة الدهس أمام أحد مراكز دار الرعاية، لذلك تجد أن هناك تراجعاً من بعض من أسلموا؛ حيث إن هناك إحصائية رسمية تؤكد أن

دار الرعاية الإسلامية كانت في بدايتها لرعاية الطلاب ثم تطورت بعد استقرارهم في بريطانيا

أول مركز ببريطانيا أنشئ عام ١٩٧٠م وكان العم عبدالله المطوع أول متبرع له

هناك ٢٥ ألفاً يُشهرون إسلامهم سنوياً؛ ٥ آلاف فقط هم من يثبتون على دينهم.

● ألا ترى أن هذا الرقم يثير القلق؟

– المسلمون في بريطانيا يتقنون فن التعريف بالإسلام جيداً، والإعلام المضاد الذي يهاجم الإسلام يخدمه؛ حيث يبدأ الناس بالبحث عن الإسلام؛ فكلما اشتد الهجوم الإعلامي ازداد دخول الناس الإسلام، فحينما نقوم بطباعة كتب للتعريف بالإسلام أو مصاحف يتم إنجازها سريعاً، لكن الإشكالية تكمن في تثبيت الناس على الإسلام، فنحتاج إلى مؤسسات متخصصة تقوم على هذا الأمر مثل مركز المهتديات الجدد، خاصة أن هناك في بريطانيا مركزين فقط –كما أشرنا– يستوعب المركز الواحد ٢٦ امرأة فقط.

● هل من قصص تحكي إسلام بعض المهتدين الجدد؟

– نعم هناك العديد من القصص، لكن بداية لا بد أن تعرف أنه حينما يتمكن الإسلام من قلب الشخص يتحول ١٨٠ درجة.. دعني أخبرك بقصتين:

الأولى: كان هناك دكتور اسمه محمد علي من جنوب بريطانيا، كان قساً قبل أن يسلم، وكان متزوجاً وله ولدان وتركته زوجته، وأصيب بحالة انهيار نفسي، ومرةً رأى في المنام رقم تليفون وصورة لمبنى معين، وهذه الرؤيا تكررت له عدة مرات، وحينما كان يقود السيارة رأى نفس المبنى وهو صورة المركز الإسلامي مع تليفون فاتصل بهم، وقال لهم: رأيت هذا الرقم في الرؤيا، ورأيت المبنى أيضاً، فأريد أن أعرف من أنتم؟ فقالوا له: نحن مركز إسلامي، فرتب زيارة والتقى بمدير المركز وشرح له الإسلام وأصبح مسلماً وتحول من رئيس القساوسة إلى إمام المسجد.

والقصة الأخرى: كانت هناك مجموعة من النازية الجديدة تدعى «كومبات ١٨»، وكان زعيمهم لمدة ٢٠ عاماً يدعى «ناجيل بروميج» متعصباً ضد الإسلام والسود، فكان أصحاب البشرة السمراء يريدون الانتقام منه، فما استطاعوا أن يصلوا إليه فضربوا زوجته، فدخلت المستشفى، وتساءلت: لماذا

دار الرعاية تشرف على ١٦ مركزاً إسلامياً

حسب إحصائية رسمية فإن ٢٥ ألفاً يُشهرون إسلامهم سنوياً يثبت منهم ٥ آلاف فقط على الإسلام!

أعيش هذه الحياة الصعبة؟ فخيرته بينها وبين قناعته الفكرية، فاختار قناعته الفكرية وطلّق زوجته.

بعدها بفترة بسيطة وكان كل أسبوع يقوم هو ومجموعته بمهمة ضد المسلمين أو السود، فذهبوا إلى رجل أسود كي يرموه من الشرفة، وإذا بولدين صغيرين يبكيان ويترجيانهم ليتركوا والدهما، فتأثر بمنظر الطفلين، ووقف أمام المجموعة وقال لهم: إذا أردتم رمي الرجل فابدؤوا بي، فخافوا منه وترددوا وتركوا الرجل الأسود.

وبعدها خرج من «كومبات ١٨» وذهب إلى الشرطة لحمايته فحولته من جنوب بريطانيا إلى مسكن في لندن، وكان تحت مسكنه مطعم باكستاني صاحبه مسلم، فلما سمع به كان يعطيه طعاماً يومياً، دون أن يكلمه عن الإسلام، فتعجب «نايجل» وسأله عن سبب ذلك؟! فقال له: «ديننا أمرنا بذلك»، فدخل في الإسلام، وتزوج من باكستانية، وأصبح عمله إجراء حملات توعية للتحذير من خطر نمو اليمين المتطرف.

● كلمة أخيرة.

– أشكر شعب الكويت؛ لأنه شعب معطاء، والسفارة الكويتية في بريطانيا تقدم لنا خدمات جليلة في دعم وتقوية المسلمين في بريطانيا؛ فدعم المسلمين أمر مهم في ظل انتشار الإسلام بقوة، كما أن الشعب البريطاني شعب منفتح، ويقبل الآخر؛ ففي آخر الإحصائيات أصبح الاسم الأول في المواليد الجدد هو «محمد»، وزاد المسلمون في بريطانيا بنسبة ٢٥٪، وارتفع عدد المساجد إلى ٢٠٠٠ مسجد و٢٠٠ مدرسة خاصة رسمية، كما أنك لا تكاد تمشي في لندن إلا وتجد مطعماً حلالاً. ■

القيادي في حركة «حماس» د. أحمد يوسف لـ«المجتمع»:

هناك أطراف تعرقل المصالحة وندعو الكويت لإنقاذها

أكد القيادي في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) د. أحمد يوسف أن المصالحة الفلسطينية ما زالت تراوح مكانها، رغم ما يحاك ضد القضية الفلسطينية من مؤامرات تستهدف الفلسطينيين مثل «صفقة القرن»، مشيراً إلى أن هناك جهات لا ترى في المصالحة خلاصاً، ومؤكداً في الوقت نفسه أن «حماس» قدمت كل التسهيلات لعمل حكومة الوفاق في غزة، وأن عمل الحكومة يجب أن يقوم على التعاون لا على المناكفات.

فلسطين المحتلة: مها العواودة

وفي هذا السياق، دعا القيادي الفلسطيني إلى وساطة كويتية في ملف المصالحة الفلسطينية بحكم العلاقات الوثيقة التي تربط الكويت بكل أطياف العمل السياسي الفلسطيني.

وفيما يخص «صفقة القرن»، أكد يوسف، في الحوار الذي أجرته معه «المجتمع»، أنها لن تحصّل الحقوق الفلسطينية، وأنها تهدف لطمس الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، منددا بالدور الأمريكي الذي يعمل على التعدي على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

● يقال: إن المصالحة الفلسطينية تواجه انتكاسة جديدة بعد محاولة اغتيال رئيس الوزراء رامي الحمد الله في غزة، كيف تقيم واقع المصالحة؟

– مسيرة المصالحة الفلسطينية يبدو أنها مسيرة متعثرة، لأسباب كثيرة، ولكن للأسف هناك جهات لا ترى في المصالحة خلاصاً بالرغم من الجهود المصرية التي بذلت خلال الفترة الماضية للتوسط، لإحداث اختراق في هذا الملف، من خلال سلسلة لقاءات عقدتها مع قيادات في حركتي «فتح» و«حماس»، وما زالت المصالحة تراوح مكانها، على الرغم من كل ما يحاك ضد القضية الفلسطينية من مؤامرات تستهدف الفلسطينيين التي من أبرزها ما يتعلق بـ«صفقة القرن» التي أطلق عليها الرئيس محمود عباس وصف «صفقة العار».

● الرئيس عباس هدد باتخاذ إجراءات إدارية ومالية وقانونية ضد قطاع غزة في أعقاب عدم تمكين الحكومة الفلسطينية في غزة، وبعد محاولة اغتيال الحمد الله، ماذا تقول في هذا الملف؟

– الإجراءات العقابية التي هدد الرئيس عباس باتخاذها ضد غزة إن تمت فإن الخاسر الوحيد فيها هو الرئيس عباس نفسه، وهو سيعمل على إضعاف شعبه في غزة وستؤثر على شعبيته، وهذه العقوبات ستضعف الوضع الفلسطيني بشكل عام، وتهديد للمشروع الوطني، وخسارة كل شيء، والمصالحة التي كنا نأمل منها تعزيز البيت الداخلي الفلسطيني، الخاسر الأكبر هو الرئيس عباس، وسيقف على أنقاض وطن، وسيكون الرئيس عباس غير قادر على مجابهة التحديات الجسام التي تواجه القضية الفلسطينية، التي تواجه مشروعاً تصفوياً خطيراً بما يسمى بـ«صفقة القرن».

● في ظل التوتر بين «فتح» و«حماس»، هل قطع الأمل بتحقيق المصالحة الفلسطينية؟

– نحن لم نقطع الأمل، وما زال هناك فسحة من الرجاء أن تنجح جهود المصالحة الفلسطينية، وأن يقوم الإخوة في مصر بإعادة معاينة الأوضاع، وتقديم رؤية من المفترض أن يتم فيها إلزام جميع الأطراف، ونحن مستعدون في «حماس» أن نتعامل مع أي جهد مصري يتعلق بالمصالحة، ومصر بالمناسبة لديها رؤية وتقييم على أرض الواقع للمصالحة، من خلال ما عقده الوفد الأمني المصري من لقاءات مع كافة النخب في قطاع غزة، وهناك حديث أن هناك زيارة قريبة للقاهرة، ليجتمع أطراف الأزمة من جديد بحضور أطراف العمل الوطني والإسلامي.

● ماذا حدث لعمل حكومة الوفاق في غزة فيما يتعلق بالتمكين لعملها في غزة؟

– «حماس» قدمت كل التسهيلات لعمل حكومة الوفاق في غزة، ويجب أن يقوم عمل الحكومة على التعاون لا على المناكفات، وما حدث أن وزراء في حكومة الوفاق قاموا بإدارة وزاراتهم من الفنادق وهذا غير معقول، ونحن كنا نأمل من حكومة الوفاق أن تمارس عملها بشكل كامل، وأن تتم عملية

> «حماس» سلمت حكومة الوفاق صلاحياتها ووزراؤها رفضوا الدخول لوزاراتهم وأداروها من الفنادق
>
> الإجراءات العقابية التي هدد عباس باتخاذها ضد غزة إن تمت فسيكون هو الخاسر الوحيد فيها

التمكين تدريجياً وفق ما يتطلع له الوزراء، بشكل ينسجم مع المتطلبات الوطنية، وبالمناسبة نحن في «حماس» مستعدون للتعاون مع حكومة الوفاق على قاعدة الشراكة السياسية.

وللعلم، فإن «حماس» تخلت عن اللجنة الإدارية كما طلب الرئيس عباس، ويفترض ألا يكون هناك أي خلافات، ولكن كل المحاولات المتعلقة بإشعار المواطن بجدية المصالحة لم تنجح من خلال المماطلة التي مارستها حكومة الوفاق في إدارة الأوضاع بقطاع غزة، لذلك يبدو أن هناك جهات وأطرافاً لا تريد المصالحة، وقد ترجم ذلك عملياً من خلال الواقع العملي لممارسات حكومة الحمد الله على أرض الواقع، التي لم تُجر أي إعادة هيكلة للأوضاع في غزة.

● «صفقة القرن» على الأبواب، والإدارة الأمريكية يبدو أنها ماضية قدماً في مخططها بتصفية القضية الفلسطينية من خلال هذه الصفقة، ما رأيك؟

– هذه الصفقة لن تحقق الحقوق الفلسطينية، هي صفقة العار، تهدف لطمس الحقوق

هناك زيارة قريبة للقاهرة ليجتمع أطراف الأزمة من جديد بحضور أطراف العمل الوطني والإسلامي

«صفقة القرن» لن تمر فهي تهدف لطمس الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني

المشروعة للشعب الفلسطيني، والإدارة الأمريكية أعلنت القدس عاصمة لكيان الاحتلال ونقل السفارة إليها، وكذلك تقليص المساعدات المقدمة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، وهناك مشاريع قوانين صادق عليها «الكنيست الإسرائيلي» بفرض السيادة على الضفة المحتلة، وضم المستوطنات «الإسرائيلية» لهذه السيادة، وهذا معناه أن أكثر من ٦٠٪ من أرض الضفة المحتلة ستضم للكيان الصهيوني، وهذا للأسف يتم بمباركة أمريكية، وهذا يعد تعدياً على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، والاحتلال وواشنطن يستغلون الحالة العربية لتمرير مشاريع التصفية للقضية الفلسطينية.

● يحمل «يوم الأرض» الخالد رمزية خاصة عند الفلسطينيين، ولكن هذا العام الشعب الفلسطيني مصمم على الاستمرار في مسيرات العودة من يوم الأرض حتى ذكرى النكبة السبعين، ما دلالات ذلك؟

– «يوم الأرض» يمثل رمزية بالنسبة للفلسطينيين في كل أماكن تواجدهم، هو يؤكد أن حق العودة لن يسقط، وأن الشعب الفلسطيني سيواصل نضاله من أجل هذا الحق، وأن كل المحاولات التي تستهدف تصفية قضية اللاجئين لن تنجح في تصفية حق العودة للاجئين الفلسطينيين باعتباره حقاً مقدساً، وهذا العام مسيرات العودة سترسل رسالة قوية للعالم بأنه بعد ٧٠ عاماً من النكبة؛ فإن هناك شعباً متمسكاً بحقوقه المشروعة في تقرير المصير، وهو شعب ما زال تحت الاحتلال، ورسالتنا للجميع بأن «إسرائيل» دولة عدوان، ومن يهرول للتطبيع مع «إسرائيل» وفتح علاقات معها، وعلى العالم العربي والإسلامي أن يتذكروا على الدوام أن هناك مقدسات لاتزال تنتهك حرمتها دولة الاحتلال التي سلبت الأرض والمقدسات الإسلامية.

● صف لنا الأوضاع الإنسانية بغزة في ظل التحذيرات الداخلية والخارجية من انفجار وشك بسبب الحصار «الإسرائيلي»؟

– الأوضاع في غزة كارثية، ولا تبشر بالخير، ومطلوب التحرك العاجل وتدارك الوضع قبل أن تغرق السفينة، والأوضاع الصعبة أفرزها الحصار «الإسرائيلي» والانقسام الداخلي الفلسطيني المرير، كل فلسطيني في غزة يواجه أزمة على كافة الأصعدة سواء ما يتعلق بالسفر أو في حياته اليومية من عمل وبطالة وغيرها من مشكلات غزة المتفاقمة، إغلاق معابر القطاع حرم غزة من الوفود التضامنية، وغزة تمثل قلعة حصينة للمشروع الوطني، وكأن ما يحدث فيها يهدف إلى تركيعها، وأن تكون ضعيفة وتستسلم وترفع الرايات.

● هل لك من رسالة لدولة الكويت الشقيقة التي تعد من أكثر الدول العربية دعماً للقضية الفلسطينية؟

– القيادة والشعب الكويتي هم أصحاب نصرة ونخوة، ودائماً نجدهم في طلائع الداعمين للشعب الفلسطيني، وهم أكثر الشعوب صداقة للشعب الفلسطيني، ورسالتنا لهم أن يستمروا على العهد في دعم قضيتهم قضية فلسطين، وأن يساندونا في مناهضة «صفقة القرن»، ومواصلة عملها في إعادة إعمار قطاع غزة، ونتطلع لوساطة كويتية في ملف المصالحة الفلسطينية بحكم العلاقات الوثيقة التي تربطها بكل أطياف العمل السياسي الفلسطيني خاصة حركتي «فتح» و«حماس»، فهم لهم مواقف مشهودة في دعم القضية الفلسطينية، وبالمناسبة كل الكتّاب والمثقفين في الكويت انبرت أقلامهم في الدفاع عن القضية الفلسطينية بالإضافة إلى الجهد الرسمي من القيادة الكويتية.■

القرن الأفريقي هو المنطقة الواقعة على رأس مضيق باب المندب من ناحية الساحل الأفريقي الشرقي، ويضم دول جيبوتي والصومال وإريتريا، وتقدر مساحته بمليوني كيلومتر مربع، ويسكنه نحو ٩٠ مليون نسمة، وهناك من يعتبره ٤ دول باعتبار إثيوبيا إحدى دوله. ورغم هذه الأهمية التي تتمتع بها المنطقة، فإنها غالباً ما تعاني من مشكلات خطيرة لا تقتصر على الفقر والتخلف، ولكنها تصل إلى المجاعات المتكررة والجفاف.

وقد سعت «المجتمع» لفتح هذا الملف، وإلقاء الضوء عليه، من خلال هذا الحوار مع د. إدريس جميل، المتخصص في شؤون القرن الأفريقي، حيث تطرق لعدد من القضايا المهمة في هذا السياق.

حوار: جمال خطاب

د. إدريس جميل المتخصص في شؤون القرن الأفريقي لـ«المجتمع» (١ - ٢):

نظم الحكم والحروب الأهلية والإقليمية تمنع استفادة دول القرن الأفريقي من موقعها وثرواتها

● في البداية، نود أن تعطينا نبذة عن منطقة القرن الأفريقي.

– للقرن الأفريقي عدة مفاهيم: المفهوم الجغرافي، المفهوم السياسي، المفهوم الإستراتيجي وهو المفهوم الأوسع.

فعلى صعيد المفهوم الجغرافي، فنحن نتحدث عن ٤ دول، هي: الصومال وإريتريا وإثيوبيا وجيبوتي.

وعلى صعيد المفهوم السياسي، يضم القرن الأفريقي إضافة إلى الدول الأربع كلاً من السودان وكينيا.

وعلى صعيد المفهوم الإستراتيجي يتعدى القرن الأفريقي تلك الدول إلى مناطق أبعد وأوسع تأثيراً وتأثراً مثل: مصر وليبيا، وكذلك السعودية واليمن، وهي دول لديها تواصل دائم مع دول هذه المنطقة.

● ماذا عن القرن الأفريقي كبوابة للتواصل العربي والإسلامي مع أفريقيا؟

– التواصل الاجتماعي بين المنطقتين موجود تاريخياً، وكذلك التواصل الديني، فالدين المسيحي جاء من البوابة العربية، والإسلام وصل هذه المنطقة قبل أن يصل لأجزاء كبيرة من جزيرة العرب، والمنطقة تتأثر ببعضها بعضاً، وهي بمثابة حلقة الوصل بين آسيا وأفريقيا، بتحكمها في

مضيق باب المندب، وقد كان لها أهمية إستراتيجية كبيرة عبر التاريخ، وهذا ما جعلها محط أنظار الاستعمار منذ القدم، والمنطقة شهدت تاريخياً نزاعات مستمرة اقتصادية وعسكرية بين الرومان والفرس بغرض السيطرة عليها قبل الإسلام، وشهدت نزاعات عسكرية بين الدولة العثمانية والبرتغال بغرض السيطرة عليها، وتنافس عليها الاستعمار الفرنسي والإنجليزي والإيطالي.

● ما الميزات التي يضفيها باب المندب على القرن الأفريقي؟

– باب المندب هو الذي يضفي الأهمية القصوى للقرن الأفريقي، فهو أقرب طريق للنفاذ إلى القارات الثلاث، وهو الذي يجعل للمنطقة أهمية إستراتيجية كبرى، خصوصاً أنها تمتد عبر سواحل بحرية شاسعة، ويعبر باب المندب أكثر من ٣٠٪ من التجارة العالمية.

● هل تقتصر أهمية القرن الأفريقي على موقعه الإستراتيجي؟

– لا تقتصر أهمية منطقة القرن الأفريقي على موقعه الإستراتيجي فقط، ولكن المنطقة تضم منطقة البحيرات العظمى، ذات المخزون المائي الهائل الذي يمثل بُعداً إستراتيجياً كبيراً لمن يسيطر عليه، ومنها ينبع النيل الأزرق، وتحتوي المنطقة على ثروات معدنية كثيرة أهمها البترول والغاز.

● لماذا فشلت دول القرن الأفريقي والدول الواقعة حول باب المندب في استغلال هذا الموقع الإستراتيجي؟

– يرجع الفشل الذي تتحدث عنه إلى:

أولاً: نظم وطريقة الحكم.

ثانياً: أن هذه المنطقة لم تشهد أي استقرار عبر التاريخ، فقد شهدت حروباً وصراعات عالمية منذ القدم وحتى عصرنا هذا، فإثيوبيا على سبيل المثال كدولة إقليمية تعيش صراعات من كل جيرانها، فقد نشبت صراعات مسلحة بينها وبين الصومال، وبينها وبين إريتريا، وأحياناً بينها وبين كينيا، ونوعاً ما مع السودان.

كذلك عانت دول القرن الأفريقي –وما زالت– من حروب أهلية دامية في الصومال، والسودان، وإلى حد ما في إثيوبيا قبل عام ١٩٩١م، وهذه أبرز العوامل التي أثرت في تلك المنطقة وهي عدم استقرارها.

● هل كُتب الاستبداد على هذه المنطقة للأبد؟

– هذا يُقرأ ضمن الخريطة العامة للمنطقة بالقياس مع المنظومة الموجودة فيها، فنحن لا نستطيع أن نفصلها عن محيطها.

الأمر الآخر أن هذه النظم وصلت للحكم في غالبها إما عن طريق الانقلابات العسكرية، أو بالقوة المسلحة مثلما حدث في إثيوبيا وإريتريا، وما زالت هناك حروب أهلية في الصومال والسودان، وصراع على السلطة والثروة داخل أغلب دول المنطقة، وكل ذلك يساهم في عدم الاستقرار.

● الوصول إلى الحكم في إريتريا جاء تتويجاً لكفاح طويل شاركت فيه مجموعات ثورية مختلفة، ما الذي تسبب في تكريس الحكم بيد شخص واحد؟

– المفهوم الثوري القائم على العنف واستخدام السلاح دائماً لا يساعد في التحول الديمقراطي، إضافة إلى أن القضية الإريترية قبل الاستقلال عام ١٩٩١م كانت تواجه تحديات كبيرة من الخارج، ودعمها من القوة الدولية والإقليمية لم يكن بالقدر المطلوب، لذا شك الثوار في كل شيء، وهذه الثقافة انتشرت في إريتريا، وبعد تكوين الدولة لم يستطع الثوار أن يخرجوا من المفهوم الثوري إلى مفهوم الدولة، وهذه هي الثقافة التي تسببت في تكريس المفهوم العسكري الأمني الاستبدادي في واقع إريتريا.

● هل تدخلت أيادٍ أجنبية لتركيز السلطة في أيدٍ معينة؟

– العنصر الخارجي قد يكون عنصراً مساعداً، وليس أساسياً، ولكن النظام الحاكم في إريتريا ارتبط بعلاقات خارجية غير جيدة.

● نسمع عن رياح تغيير تهب على إثيوبيا، حتى ولو كانت اقتصادية، فهل يحدث ذلك في إريتريا؟

– الواقع أن هذا لا ينطبق على إريتريا، فظروف المواطن الإريتري الاقتصادية غاية في السوء، نظراً للمعاناة التي

القرن الأفريقي به مخزون مائي هائل ويحوي ثروات معدنية كثيرة أهمها البترول والغاز

المفهوم الثوري القائم على العنف واستخدام السلاح دائماً لا يساعد على التحول الديمقراطي

نسبة المسلمين في إريتريا ٥٠٪ على الأقل ولكنهم أقلية في الجهاز الإداري وخصوصاً الموظفين الكبار

تتعرض لها الدولة، خاصة من الناحية الاقتصادية.

وإريتريا دولة شبه مغلقة، والكثير من مواطنيها وخصوصاً الشباب يهربون من وطنهم، وهناك أعداد كبيرة تتواجد في دول الجوار والغرب، وهذا يؤكد لنا أن هناك إشكالية كبيرة في الدولة فيما يتعلق بنظام الحكم وإفرازاته السلبية على المواطنين وعلى حقوق الإنسان والحريات.

● ألا ترى ضوءاً في نهاية النفق؟

– دوام الحال من المحال، وهناك محاولات لتغيير النظام من الداخل، فالمجموعة الحاكمة نفسها منقسمة، ومنهم من هرب خارج البلاد، ومنهم من سجن، وهذا يعني أن هناك محاولات للتغيير من الداخل في إريتريا، وكذلك المعارضة في الخارج نشطة، حيث توجد أحزاب إريترية منظمة تسعى للتغيير، وفي الداخل أيضاً هناك معارضة صامتة، وهذه تتمنى التحول الديمقراطي، وتنتظر الفرصة السانحة للتغيير.

● هل المعارضة الإريترية موحدة؟ وما الخريطة الأيديولوجية لهذه المعارضة؟

– مفهوم المعارضة متنوع، حيث توجد معارضة مجتمعية في الداخل والخارج، ولكنها في الداخل لا تستطيع التعبير عن رؤيتها وميولها السياسية، والدليل على ذلك أنه عندما بدأت بوادر التعبير عن الرأي ومحاولة التغيير من الداخل بطرق سلمية تم قمعها في مهدها، وتم سجن الكثير من الناشطين، وهذا يثبت أن هناك معارضة للنظام في الداخل من البسطاء والتجار والدعاة والشيوخ والأعيان، سواء من المسلمين أو المسيحيين.

إريتريا دولة شبه مغلقة وهناك انسداد للأفق داخلها والكثير من المواطنين خصوصاً الشباب يهربون منها

هناك محاولات للتغيير من داخل النظام والمعارضة في الخارج نشطة

المعارضة الإرتيرية كانت في التسعينيات غالبها تيارات إسلامية والآن تضم مسلمين ومسيحيين

● هل نستطيع القول: إن إريتريا محكومة بنظام طائفي؟

– لا أجزم بأن نظام الحكم في إريتريا نظام طائفي، رغم أن البعض يصفه بذلك.

● كم نسبة عدد المسلمين في إريتريا ونسبة المسيحيين؟

– حتى نكون منصفين، لا يوجد إحصاء لدينا إلا إحصاء عام ١٩٥٢م، حينها كان المسلمون أكثرية بين ٥٥ و٦٠٪، والأرقام الحقيقية لا تحضرني حالياً، لكن النظام الحاكم حالياً يزعم تساوي نسبة المسلمين مع نسبة المسيحيين.

● هل للمسلمين ٥٠٪ من الجهاز الإداري في الدولة مثلهم مثل المسيحيين؟

– لا، المسلمون أقلية في الجهاز الإداري للدولة، وخصوصاً الموظفين الكبار، وهم كذلك أقلية على مستوى الوزراء، وكذلك في السلك العسكري، وخصوصاً الضباط ذوي المستويات العليا في الجيش أقلية.

● إذاً لا نلوم من يصف النظام بأنه طائفي؟

– لا أستطيع تأكيد ذلك؛ لأنه يمارس الاضطهاد على الأقل في الآونة الأخيرة ضد المسيحيين المنافسين له في الحكم.

● هل توجد معارضة مسيحية لنظام الحكم؟

– نعم، في الداخل والخارج، وهناك ضباط ووزراء من المسيحيين كانوا يعملون في الدولة وتعرضوا للاضطهاد.

● ماذا عن المعارضة الإسلامية؟

– الحركة الإسلامية تتمثل في مدرستين؛ الإخوان، والسلفيين، وهم ينقسمون إلى ثلاث مجموعات رئيسة:

١- الحزب الإسلامي الإريتري للعدالة والتنمية أقرب إلى مدرسة الإخوان المسلمين.

٢- حزب حركة الإصلاح، وهو أقرب إلى المدرسة السلفية.

٣- المؤتمر الإسلامي الإريتري.

وهناك أكثر من ١٠ مجموعات أخرى للمعارضة، كل مجموعة بها مسلمون ومسيحيون، سواء زاد المسلون هنا أو نقصوا هناك، وكذلك المسيحيون.

● هل هناك تعاون وتحالف بين أطياف المعارضة؟

– نعم، يوجد تحالف وطني بين أطياف المعارضة المختلفة بما فيها الأحزاب ذات التوجه الإسلامي، تحت مسمى التحالف الوطني الإريتري.

● ماذا عن الأحوال المعيشية للشعب الإريتري؟

– لا توجد بيانات دقيقة عن الأحوال الاقتصادية في إريتريا، وحتى الميزانية غير واضحة، وهذا من طبيعة الحكم الاستبدادي، حيث يوجد عدد كبير من الشعب تحت خط الفقر، لا تحضرني النسب حالياً، وقد تصل النسبة بين ٣٠ – ٤٠٪.

● هل تعتمد إريتريا في اقتصادها على الزراعة، أم هناك موارد أخرى؟

– هناك تنقيب عن الذهب من قبل شركات كندية، ويتركز التنقيب في ثلاث أو أربع مناطق كبرى، ونسبة الحكومة من العائدات معقولة تصل إلى مئات الملايين من الدولارات سنوياً.■

في العدد القادم
نواصل النقاش بإذن الله

الرحمة العالمية
RAHMA INTERNATIONAL
جمعية الإصلاح الاجتماعي
التميز في العمل الخيري

نور على نور

مشروع لتوعية مسلمي أوربا وتعريف غيرهم بالإسلام

المشاركة بأسهم نقدية قيمة السهم **30** د.ك

الاستقطاع الشهري بقيمة **10** د.ك شهرياً

حولي، السالمية، سلوى، الفيحاء، الروضة، صباح السالم، القرين، الصباحية، الفحيحيل
لولوهايبر الضجيج، صباح الناصر، الأندلس، الصليبيخات، القصر، سعد العبدالله

1 888 808

khaironline.net

@khaironline

أقليات مسلمة

إعداد: هاني صلاح

الرئيس الجديد لاتحاد المنظمات الإسلامية بأوروبا لـ«المجتمع»:

أوروبا يتجاذبها اتجاهان متناقضان في علاقتها بالوجود الإسلامي

أكد المهندس سمير فالح، الرئيس الجديد لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، أن محور التحدي الذي يعيشه الوجود الإسلامي بأوروبا اليوم يتمثل في وجود اتجاهين اثنين متناقضين في رؤيتهما لهذا الوجود؛ الأول يرغب في التعامل معه كمكون طبيعي ضمن المجتمعات الأوروبية، بينما الثاني يراه دخيلاً على الثقافة الأوروبية.

جاء ذلك في الحوار الذي أجرته «المجتمع» معه، حول واقع ومستقبل الوجود الإسلامي في أوروبا، حيث تطرق لأهم أولويات اتحاد المنظمات الإسلامية إزاء ملف التواجد الإسلامي بأوروبا، وأبرز التحديات التي تواجهه اليوم، وما تحقق من إنجازات على درب ترسيخه، وختم بأبرز التوصيات المستقبلية للحفاظ على الوجود الإسلامي بأوروبا.

• نرحب بكم ونهنئكم باختياركم أميناً عاماً لاتحاد المنظمات الإسلامية بأوروبا ونود في البداية نبذة تعريفية عنكم منذ حضوركم لألمانيا، وكيف سارت الأمور معكم لاحقاً؟

– أهلاً ومرحباً بكم ونسأل الله تعالى أن يعيننا على هذه المسولية العظيمة؛ قدمت إلى أوروبا، وتحديداً ألمانيا (الغربية آنذاك) ولم أتجاوز ربيعي الثامن عشر بعد، في خريف عام ١٩٨٥م، وتحديداً يوم ١١ سبتمبر، حيث حطت بنا الطائرة ظهراً في مطار فرانكفورت الدولي، وكان سبب قدومي هو أنني تحصلت على منحة من الدولة التونسية بعد اجتيازي لامتحان البكالوريا (الثانوية العامة) بتفوق، لأواصل تعليمي الجامعي في ألمانيا، قضيت سنتي الأولى في تعلّم اللغة الألمانية لأبدأ بعدها مشواري الدراسي تخصص هندسة إعلامية في الجامعة التقنية بمدينة كارلسروه جنوب غربي ألمانيا.

إلى جانب الدراسة وبطبيعة الطاقة الشبابية التي تبحث لها عن أوجه للتصريف، كان لي اهتمام ونشاط ضمن الوجود الإسلامي في المدينة وعلى مستوى ألمانيا، فساهمت في تأسيس جمعيات ومؤسسات ونشطت ضمن أخرى، ودفعني اهتمامي بهذا المجال إلى دراسة الشريعة الإسلامية بشكل موازٍ لدراستي التقنية، طبعاً المجالُ الاجتماعي حاضر في حياة الإنسان، حيث تزوجت وكوّنت عائلة وأنا طالب.

على صعيد آخر، وبسبب الأوضاع السياسية في تونس أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، وباعتباري مسّني منها بعض الضرر حيث منعت من دخول بلدي لسنوات، كان لي أيضاً نشاط حقوقي وسياسي.

في السنوات الأخيرة، ومع

تزايد أهمية الوجود الإسلامي في أوروبا، تركز اهتمامي ونشاطي حول القضايا التي تخص هذا الوجود، كان ذلك على الصعيد المحلي في مسجد وجمعية المدينة، أو على صعيد ألمانيا في إطار الاتحاد الإسلامي للطلاب والتجمع الإسلامي في ألمانيا، أو على الصعيد الأوروبي في إطار اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا.

● أوروبا تمثل العالم الأول الذي قاد البشرية لفترات طويلة، فكيف رأيتموها؟ وماذا تقولون للقارئ العربي عما لا يسمعه في وسائل الإعلام؟

– الحديث عن أوروبا الماضي والحاضر، السياسة والجغرافيا، الدين والمجتمع، الاقتصاد والتكنولوجيا، حديث ذو شجون، ويصعب الإحاطة به إلا لأهل الاختصاص، ولكن أُجمل القول في بعض النقاط مما استقر في قناعاتي حول أوروبا من خلال ما عايشته فيها على مرّ السنين.

تأسست أوروبا الحديثة على أنقاض حروب مدمرة ذهب ضحيتها ملايين البشر، وأهلكت الحرث والنسل، وهي تدير شؤونها اليوم على قاعدة استحالة العودة لمثل تلك الوضعية من التحارب والتقتيل، وأن هناك دائماً سبيلاً وطريقاً لحل الخلاف بالطرق السلمية، وتبقى مجازر الصرب ضد مسلمي البوسنة والهرسك على أعتاب أوروبا نقطة سوداء وصمتها عليها وصمة عار في جبينها.

العمق الأوروبي متديّن ويحمل موروثاً دينياً تاريخياً، وما التماثل في ملف ضمّ تركيا ذات الأغلبية المسلمة إلى الوحدة الأوروبية إلا صورة معبرة عن ذلك، غير أن السياسة الأوروبية نجحت في تحييد الدين عن الحياة العامة وجعلته أمراً شخصياً، لقد أصبح الدين في حياة الناس طقوساً ورموزاً أكثر منه عقيدة وقيماً، وأصبحت العلمانية من فصل للدين عن السياسة إلى تحجيم للدين وحصره في حيز ضيق من حياة الإنسان.

لقد حققت أوروبا لشعوبها الأمن والاستقرار والرفاه، وضمنت لها حرية التعبير والتنظيم والتنقّل، وهي قيم أساسية ثابتة غير قابلة للتراجع.

في علاقتها بالوجود الإسلامي، فإن أوروبا تخوض مساراً يتجاذبه اتجاهان؛ الأول يريد التعامل مع هذا الوجود كمكون طبيعي في المجتمعات الأوروبية له ما له من الحقوق، وعليه ما عليه من الواجبات ضمن إطار المواطنة، واتجاه آخر يعتبر هذا الوجود دخيلاً على الثقافة الأوروبية ونمط حياة مجتمعاتها، وعليه فهو يتعامل مع أفراده كمواطنين من درجة ثانية، ويسعى إلى دفعهم إلى الذوبان والتنصل من خصوصياتهم الدينية والثقافية.

هذا هو محور التحديات التي يعيشها الوجود الإسلامي في أوروبا اليوم، ونتيجته ما زالت مفتوحة.

شهدت خارطة الأحزاب السياسية في أوروبا في السنوات الأخيرة تغييرات جذرية تمثلت في تراجع شعبية الأحزاب التقليدية (الأحزاب المحافظة، الاشتراكية..)، وصعود أحزاب اليمين المتطرف من ناحية، وأحزاب ذات تشكّل جديد يمين المحافظين أو يسار الاشتراكيين، هذه التطورات تعكس المزاج العام للشعوب الأوروبية التي فقدت الثقة في الأحزاب المحافظة، ووقع جزء غير قليل منها تحت طائلة الدعاية الشعبوية لليمين المتطرف.

في السنوات الأخيرة تراجعت شعبية الأحزاب التقليدية بأوروبا وصعدت أحزاب اليمين المتطرف

نسبة المسلمين بأوروبا ٤,٩ ٪ من مجموع عدد السكان ويتوقع أن تصل في عام ٢٠٥٠م إلى ٧,٤ ٪

المسلمون كانوا يكتفون بغرفة في قبو للصلاة واليوم يبحثون عن مكان وسط المدينة يشيّدون فيه مسجداً بالقبة

من أولوياتنا مساعدة الأجيال الجديدة للمسلمين في الحفاظ على هويتها الإسلامية كمواطنين أوروبيين

● نود إطلالة تعريفية بمسلمي أوروبا؛ خريطتهم العرقية وواقعهم الاجتماعي.

– دخول الإسلام إلى أوروبا مرّ بثلاث محطات مهمة؛ أولها: الفتوحات الإسلامية خلال القرن السابع التي شملت البلدان الأوروبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، ثانيها: خلال التوسع العثماني من منتصف القرن الرابع عشر إلى القرن الخامس عشر، حيث انتشر الإسلام في دول البلقان ودول جنوب شرق أوروبا، وثالثها: عن طريق موجات الهجرة إثر الحرب العالمية الثانية والقادمة من المغرب العربي وتركيا وبلدان غرب أفريقيا وبعض دول آسيا مثل باكستان وبنجلاديش، وهذه الأخيرة ما زالت متواصلة وإن بأعداد أقل.

يصل العدد الإجمالي للمسلمين في بلدان الاتحاد الأوروبي (٢٨ دولة إضافة إلى النرويج وسويسرا) حسب إحصائيات معهد «بيو» الصادرة في أواخر عام ٢٠١٧م إلى حدود ٢٥,٨ مليون نسمة؛ أي بنسبة ٤,٩٪ من مجموع عدد السكان، تذكر نفس الإحصائية أن تطور عدد المسلمين إلى حدود عام ٢٠٥٠م وبدون احتساب هجرات محتملة يصل إلى ٧,٤٪، وهذا راجع لمعدل الأعمار المنخفض للمسلمين (معدل الأعمار ١٣ عاماً)، كما أن هناك دولاً ذات أغلبية مسلمة والمسلمون فيها من السكان الأصليين، مثل ألبانيا وكوسوفو وتركيا، وهي مرشحة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

وإجمالاً لو احتسبنا دولاً هي جغرافيّاً تابعة لأوروبا ولكنها سياسيّاً ليست تابعة للاتحاد الأوروبي (روسيا، وتركيا..)، فإن عدد المسلمين سوف يرتفع إلى ما يقارب ١٤٠ مليوناً.

في الاتحاد الأوروبي، نجد فرنسا على رأس القائمة من حيث عدد المسلمين بـ٥,٧٢ مليون نسمة؛ أي ما يعادل ٨,٨٪، تليها ألمانيا بـ٤,٩٥ مليون نسمة؛ أي ما يعادل ٦,١٪، ثم بريطانيا بـ٤,١٣ مليون نسمة؛

أي ما يعادل ٦,٣٪.

وفيما يتعلق بواقع المسلمين الاجتماعي، فقد أثبتت دراسات حديثة أن اندماج مسلمي غرب أوروبا على وجه الخصوص حقق تقدماً واضحاً، وقد ظهر ذلك في نجاح أبناء الجيل الثاني والثالث من المسلمين في حياتهم المهنية والاجتماعية، غير أن ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وصعود اليمين المتطرف وشعاراته الشعبوية التي تستهدف بدرجة أولى الوجود الإسلامي، أوجد أجواء من الكراهية ليست الأرقام المفزعة لعدد الاعتداءات على المسلمين؛ أشخاصاً ومنشآت، إلا إحدى نتائجها في الواقع.

● بصفتكم الرئيس الحالي لاتحاد المنظمات الإسلامية بأوروبا، ما أهم أولوياتكم في العمل الدعوي والمجتمعي فيما يتعلق بالتواجد الإسلامي العام بالقارة؟

– لئن انطلق الوجود الإسلامي الحديث في أوروبا عفوياً وظرفياً، حيث لم يكن غالبية المهاجرين يخططون للاستقرار، فإنه انتهى إلى مكوّن مستقر، بل أساسي في بنية المجتمعات الأوروبية، وهذا يؤثر في كيفية تعاطي المسلمين مع واقعهم وأولوياتهم، فمثلاً في البداية كان المسلمون يكتفون بغرفة صغيرة في قبو بمكان معزول من المدينة يتخذونها مسجداً للصلوات الخمس وصلاة الجمعة، واليوم وقد استقر بهم المقام تجدهم يبحثون عن مكان وسط المدينة يشيّدون فيه مسجداً بالقبة والمئذنة وبينهم وبين ذلك صعوبات إدارية وتحديات مالية.

إننا كاتحاد للمنظمات الإسلامية في أوروبا عايشنا هذا التطور، وكان لنا مع شركائنا دور ريادي في توجيهه وترشيد مسيرته، وننظر اليوم إلى أولوياته على خلفية وجود إسلامي أوروبي مستقر نافع لنفسه ولمحيطه مُثمر ومُنتج لما فيه خيره وخير محيطه.

وبناء عليه؛ فإننا نرى أولوياتنا في العمل الدعوي والمجتمعي في النقاط التالية:

١– بناء وتطوير المؤسسات الإسلامية انطلاقاً من مبدأ التخصص والانفتاح على الآخر، وخدمة الوجود الإسلامي في أوروبا، وهذا من شأنه أن يرسّخ الوجود الإسلامي في أوروبا، ويؤسس لتعايش سلمي في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، والمقصود بالمؤسسات هنا ليست الدعوية فقط، وإنما أيضاً الإعلامية والمالية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ما زال عدد لا بأس به من مسلمي أوروبا أجسادهم فيها وقلوبهم وعقولهم تحلق في عوالم أخرى

كبار السياسيين وأصحاب القرار لا يترددون اليوم في القول: إن «الإسلام جزء من أوروبا»

٢– مساعدة الأجيال الجديدة للمسلمين في الحفاظ على هويتها الإسلامية كمواطنين أوروبيين، وهذه الأجيال هي الحلقة الأهم في الوجود الإسلامي بأوروبا، إن صلحت صلُح الوجود كلّه أو جلّه، وإن فسدت انتهى هذا الوجود إلى التقلّص والذوبان.

٣– دعم وتوسيع الحوار والتعاون مع أصحاب الأديان والعقائد والأفكار الأخرى ومع قوى المجتمع المدني لما فيه صالح المجتمعات الأوروبية واستقرارها، والحوار مبدأ أصيل، والتعاون منهج أصيل، والمسلمون قادرون وهم أقلية على أن يساهموا في رقي المجتمعات الأوروبية.

٤– تحصين وحماية الوجود الإسلامي في أوروبا من حملات التشويه والاعتداء ومحاولات التهميش والإقصاء؛ ذلك أن صعود اليمين المتطرف في عدد من البلدان الأوروبية أوجد مناخاً عدائياً ضد المسلمين، فمسّهم الأذى اللفظي (إعلام، سياسيون..)، والمادي (اعتداءات على المنشآت الإسلامية ودور العبادة..)، وهذه حالة تنذر بالتطور إلى الأسوأ، لا قدّر الله، وعليه فلا بد للوجود الإسلامي بالتعاون مع المُقسطين في المجتمعات الغربية من حماية نفسه وتحصينها.

● ما أبرز التحديات التي تواجهكم خلال سعيكم لتحقيق أهدافكم؟

– لا شك أن الممارسة غير النظرية، والواقع غير ما نخُطه، مع وضوح الأهداف ضمن الأولويات المذكورة أعلاه، إلا أن نسق الإنجاز تعتريه في أحيان ليست بالقليلة عوائق وصعوبات، أهمها:

١– تطوير المؤسسات وترسيخ عملها وتجويد أدائها يحتاج بدرجة أولى إلى كوادر لها درجة من الكفاءة، وتتوافر لها إمكانات مناسبة إن لم نقل عالية، والأولى عُملة نادرة إن وُجدت فضّلت أن تسلك طرقاً أخرى تُوفر لها مستقبلاً أكثر إشراقاً ودخلاً أكثر جاذبية، والثانية ما زالت في مستويات دون المطلوب، حيث الاعتماد على التبرعات والدعم الخارجي في غياب دعم رسمي من الدولة أو مشاريع استثمارية تعود على هذه المؤسسات بريعها، هناك محاولات جادة لتخطي هذا العائق، إلا أنه يحتاج زيادة في الوعي من ناحية، وفسحة من الوقت من ناحية أخرى.

٢– إن عدم الانتباه إلى أن الوجود الإسلامي في أوروبا له خصوصياته، وأنه ليس نسخة من غيره في مناطق أخرى من بلاد العالم، يشكل في أحيان كثيرة عائقاً أمام التقدم في تحقيق الأهداف، قد نحبس أنفسنا في اجتهادات فقهية لا تضع خصوصية الواقع في الاعتبار فنضيّع مصالح معتبرة، أو يكثر سجالنا حولها فنضيّع الفرص والأوقات، ما زال عدد

لا بأس به من مسلمي أوروبا أجسادهم فيها وقلوبهم وعقولهم تحلق في عوالم أخرى.

٣- كثير من الأهداف والأعمال تحتاج إلى توحيد الصفوف وجمع الكلمة، وهذا ما نفتقده بأقدار للأسف، المحاولات في هذا الاتجاه حققت خطوات ولكنها ما زالت لم تصل إلى مداها، ويوم يلتقي مسلمو أوروبا ويزيلون بعض الحواجز بينهم، حينها يتقدمون أكثر في تحقيق أهدافهم.

٤- المناخات المجتمعية التي تخلفها حملات التحريض والتشويه ضد المسلمين تلقي بظلالها السلبية على عملنا وفي طريق تحقيق أهدافنا، فهي من ناحية تدفع بعض المسلمين إلى التقوقع والخوف، ومن ناحية أخرى تدفع الآخرين ممّن يتبنون مثل هذه الحملات إلى التضييق علينا ومحاولة عزلنا، فلا تتحقق المشاركة المجتمعية التي نريد، ولا يحصل السلم والأمن الاجتماعي الذي نبتغي، الخاسر في ظاهره هم المسلمون، وفي باطنه المجتمع بأسره.

● ما أبرز الإنجازات التي تحققت بالفعل في ترسيخ التواجد الإسلامي بأوروبا أو ببعض مناطقها ودولها؟

- رغم الصعوبات والعراقيل؛ الذاتية منها والموضوعية، فإن مقارنة بسيطة بين واقع المسلمين حين قدموا إلى البلاد الأوروبية وواقعهم اليوم يدلل بوضوح على أن هناك حجماً لا يستهان به من الإنجاز، بفضل من الله أولاً:

١- تطور وعي جانب كبير من المسلمين في البلاد الأوروبية وانتقال تفكيرهم واهتمامهم من الظرفية إلى الاستقرار، وهذا في حد ذاته أعطى أبعاداً جديدة للوجود الإسلامي؛ فثمرات هذا الإنجاز الذي تضافرت فيه جهود مؤسسات إسلامية كثيرة على رأسها اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، لا تخطئها العين، ولعل عنوانها الأهم أن كبار السياسيين وأصحاب القرار لا يترددون اليوم في القول: إن «الإسلام جزء من أوروبا».

٢- لم يحصل انقطاع بين أجيال المسلمين، حيث نجد اليوم الأجيال الجديدة، في نسبة محترمة منهم، متمسكة بدينها وتعمل على خدمته بكل ثقة في النفس، إن هذه الأجيال الجديدة بدأت شيئاً فشيئاً تتبوأ مواقع متقدمة في مجتمعاتها وتأخذ مكانها في المؤسسات الإسلامية.

إن هذه الأجيال ورغم أنها تعيش بين مطرقة التطرف والتشدد وسندان الميوعة والانحلال، فإن غالبيتها اختار طريق الوسطية والاعتدال، لم يعد استثناءً أن يعتلي شاب من الأجيال الجديدة المنبر خطيباً يوم الجمعة، كما لم يعد استثناءً أن تجد شاباً من الأجيال الجديدة ضمن إدارة مؤسسة إسلامية، أما عن المشاركة المجتمعية فإن الأجيال الجديدة في جزء مهم منها تخوض هذا الغمار من غير أن تخفي انتماءها الديني، بل إن هذا الانتماء قد يكون دافعاً وراء هذه المشاركة.

٣- من مظاهر رسوخ الوجود الإسلامي في الواقع الأوروبي نجاحه في إيجاد مؤسسات تخدم أهدافه وتستجيب لحاجياته وتكون نافذة له على محيطه، بدأت هذه المؤسسات بجهود متواضعة، وهي اليوم تسير بخطى ثابتة نحو أكثر حرفية، بدأت هذه المؤسسات ذات اهتمامات متعددة وهي تسير اليوم نحو التخصص، هناك طبعاً المسجد كمؤسسة جامعة، ولكن هناك أيضاً مؤسسات تعليمية وخيرية ومجتمعية.

نحرص على تطوير المؤسسات لتستجيب للتحديات المتجددة والمتغيرات المتسارعة

رغم أن الأجيال الحالية تعيش بين مطرقة التطرف وسندان الانحلال فإنها اختارت طريق الوسطية

● لترسيخ التواجد الإسلامي بشكل إيجابي فعال في القارة الأوروبية، ما أبرز توصياتكم المستقبلية؟

- إن توصياتنا في هذا الإطار تنطلق من قناعة أن الوجود الإسلامي في البلاد الأوروبية وُجد ليبقى، وأنه ليس أمراً عارضاً، وأنه قدر من أقدار الله في حفظ دينه وتبليغ رسالته.

وأهم هذه التوصيات:

١- الحرص على الأجيال الجديدة، وفتح المجال لها وإشراكها، فهي التي ستحمل المشعل، ومن خلالها سوف يتحقق تواصل الأجيال بإذن الله، نعم العقليات والتفكير بين الأجيال يختلف، ولكن يجب ألا يكون هذا عائقاً، بل إنه أمر طبيعي ومحمود.

٢- الحرص على توحيد الصفوف وجمع الكلمة، فذلك سبيل لكسب كثير من التحديات وتجاوز كثير من الصعوبات، هذا يحتاج إلى التجرد وتقديم المصالح الكبرى والابتعاد عن المصالح الضيقة والآنية.

٣- الحرص على الانفتاح على الآخر والتواصل معه والبحث عن مساحات الالتقاء معه، هذه قيمة مهمة في ديننا علينا أن نتمثّلها ونعمل بمقتضياتها، لا يستوي أن نعيش بين القوم وكأن بيننا وبينهم حاجزاً، فاختلاف الدين والمعتقد لا يعني انتفاء التعامل والتواصل والتعاون.

٤- الحرص على تطوير المؤسسات لتستجيب للتحديات المتجددة والمتغيرات المتسارعة؛ فالمراجعة والتقييم سبيل للتدارك والتطوير، وسنن الله غلاّبة، فمن لم يتجدد يتبدد ومن لم يتطور يتخلف.

٥- الحرص على التعاطي مع الشأن الأوروبي ضمن خصوصياته وتركيز الاهتمام به بعيداً عن عقلية «الطابور الخامس»، أنت أيها المسلم «هنا»، فاعمل لـ«هنا»، ولا تشوش على بوصلتك بما ليس «هنا»، وهذا لا ينفي أن يكون لك قدر من الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي والتعاطف معها ودعمها بما هو ميسّر ومتاح لك.

يبقى التحدي الأكبر هو التحدي الداخلي:

إلى أيّ مدى نحن قادرون على بناء العلاقة بين الأجيال على نحو يحصل معه التكامل بدل التنافر والتعاون بدل الخلاف؟

إلى أيّ مدى نحن قادرون على تطوير مؤسساتنا لتكون في مستوى التحديات؟

إلى أيّ مدى نحن قادرون على بناء علاقة إيجابية تشاركية مع محيطنا ومجتمعاتنا؟■

البعد الطائفي في القضية السورية

بقلم: د. عامر البوسلامة

الشعب السوري لا يعرف الطائفية، ولم يمارسها سلباً، رغم وجود الحالة المذهبية، والتعدد الديني منذ مئات السنين، والمجتمع السوري -عبر التاريخ- مجتمع متعايش، أبناؤه ارتضوا الحياة معاً، وفيه مسلمون وغير مسلمين، وهم متجاورون، طابع بلاد سورية أنها بلاد سنية من باب الأكثرية، ودمشق عاصمة الحضارة الأموية، في بُعدها المعرفي الإسلامي، وتاريخها السياسي والثقافي، ولكن هذه الحقيقة صارت عامل مسؤولية، ترتب عليها أن يكون أبناء هذا البلد على عاتقهم أمانة الاستقرار المجتمعي، والأمان الحياتي، ولم تكن حقيقة الأكثرية وطابعها الأموي سبباً في نشوء نتوءات ما لا تحمد عقباه في هذا الشأن، من طائفية حارقة، أو عدوان على أقلية لأنها أقلية.

وكانت تجربة السياسي الوطني فارس الخوري، وتعاضده مع سائر أبناء الشعب السوري، ومنهم السباعي، والزرقا، والمبارك، والبيطار، والدواليبي، خير مثال على حقيقة هذا التعايش، وأوضح مثال على عدم وجود مشكلة في هذا المجال الذي ندندن حوله، وهذه التجربة بكل توسعاتها تحتاج إلى تأمل دقيق، وإعادة إنتاج للتجربة، رغم كل التخريب المنظم الذي جاء به نظام السوء والظلم والفجور والفتنة والضياع.

بداية إيقاظ الفتنة

جاء هذا النظام الفاجر المجرم، وتسلم زمام السلطة «حافظ الأسد» الذي ينتمي إلى الطائفة النصيرية (العلوية)؛ فهيج غبار نتن الطائفية، وحرك فحيح سمومها، ونسج خيوط ظلامها، ببرنامج عمل هدام، وخطة تخريبية، ما زال الشعب السوري إلى يومنا هذا يعاني من ويلاتها، وأخذ يحدث الشروخ داخل المجتمع السوري، ويثير الحساسيات، ويختلق الإشكالات، ويصطنع المشكلات، ويرسخ الفتن، فكان من منهجه أن اعتمد الطائفية طريقاً للسيطرة على مقاليد السلطة، وجعل مفاصل الدولة بيد الطائفيين، وفي المجالات المركزية كافة، وقدم كثيراً من أقربائه من أبناء الطائفة، ليكونوا نسيج الحكم، ويمثلوا القبضة الحديدية التي تمسك بزمام السلطة، وركز كثيراً على المنظومة العسكرية والأمنية والإعلامية والاقتصادية، ومع الأيام -وما زالت- تبرز أسماء فاجرة عاثت في السابق أيام جبروت رفعت الأسد، وما فعله بتدمر وحماة، وما كان منه في باقي المحافظات أيام السرايا التي كانت تدار من قبله، وما نزع الحجاب من على رؤوس المحجبات في شوارع دمشق عنا ببعيد.

ومن تمام اللعبة أن ترك نظام الطائفية شكل الأمر وصورته لجماعات يحسبون على أسر أهل السُّنة، ورغم هذا وفي هذا الشكل لم يقدم إلا من كان موالياً له مائة في المائة، ومن لعب بذنبه، ولو من باب التمطي وأخذ فسحة اللعب، فلا يلومن إلا نفسه، والشواهد في هذا يطول ذكرها.

وكان نصيب الآخرين من أبناء الشعب السوري، وفي المقدمة منهم أبناء أهل السُّنة، التهميش والإقصاء، والفصل من الوظائف، والتسريح من الجيش، والسجون والإعدامات، والتهجير المباشر وغير المباشر، وسياسات التضييق على سائر أبناء الشعب السوري، شاهد السر والعلن، على طريقة العمل لهذا النظام.

وكنموذج على هذا، يذكر رائد الفضاء محمد فارس، أنه لما تولى إدارة المعهد الجوي لتدريب الطيارين، كان سبعون بالمائة من الطلاب المتدربين من الطائفة، وثلاثون بالمائة لباقي أبناء سورية، بمن فيهم أبناء الأكثرية السُّنية.

وفتحت السجون أبوابها لكل حر شريف عمل على التصدي لجرائم طائفية هذا النظام، أو نبس ببنت شفة معارضاً للنظام الطائفي، ومن يمر على كتاب «القوقعة» ليقرأ تجربة رجل مسيحي دخل السجن، حيث سطر حقائق الطغيان وحكى قصة تكميم الأفواه، والتعذيب المنظم، وإذلال الناس، فمنهم من قضى تحت التعذيب، وبعضهم فقد بعض أعضائه، وتركت بصمات الأسى ندباتها على متفرقات جسده وأحاسيسه ومشاعره، وصنعت هذه الوقائع ذاكرة جديدة، تمثل مفصلاً من مفاصل الأيام في تاريخ سورية، وكثير من هؤلاء الأحرار علقوا على أعواد المشانق، في جو عام يشهد بطائفية نظام منتقم، يحمل في جعبة تاريخه حقداً ظلامياً، ونفسية سادية، تفوح روائح نتنها من دهاليز الضغينة المرة، فصار أصحابها، لا همّ لهم سوى إرواء نهمهم الشهوي بكل أبعاده، وسائر صوره، ومن اقترب من هذا السياج فليس له سوى الحرق.

نذر الثورة المباركة

وإمعاناً في إغراق البلد في الطائفية، عمل «حافظ الأسد» ونظامه الطائفي على بناء علاقة قوية مع نظام الملالي في طهران، لتنسج مرحلة سوداوية، تراكم بعضها فوق بعض، لتشكل حالة من الويل القادم، يعرفه الذين فهموا المشهد بدقة، وأخذ الوضع في سورية يتجه نحو الطائفية بلون مركز جديد، عمل على تمكين الطائفيين من الذين ينتمون إلى تشكيل الولي الفقيه، خصوصاً في الجانب الاقتصادي، والعمل على نشر «التشيع» في ربوع سورية، وظهرت نذر الخطر، وتعمق الجرح، ونادت كتائب الفطرة، أن لا بد من نهاية لهذا الفساد

والإجرام والقتل ونهب الثروة والاستئثار بالسلطة، والطائفية التي تمارس من طرف هذا النظام الطغياني، على شعب لا يحب الطائفية ولا يريدها، أما وقد بلغ السيل الزبى فلا بد من الثورة.

قامت ثورة شعبنا (٢٠١١/٣/١٥م) حيث مهدها الأول في درعا وشعبها الأصيل، وكان موقد شرارتها أطفال درعا الأبـاة، حتى عمت الثورة جل ربوع البلاد السورية، تطالب بالإصلاح في بداية الأمر، وكانت سلمية بامتياز، ولم يرفع فيها شعار واحد يشي بطائفية، ورغم هذا قوبلت بالحديد والنار، بلغة مليئة بالحقد الدفين، الذي صار يصب فوق رؤوس شعبنا حمماً، لكن من بركان زفرات الطائفيين، وهنا يظهر محور الشر ودوره التخريبي، في تدمير البلد، وقتل البشر، وتشريدهم، نحو تغيير ديمجرافي ممنهج يخدم أجندات الولي الفقيه، الذي عاث في الأرض فساداً، فاستنفر كل طاقات نظامه، وبذل كل ما يملك، حضوراً في معركة ليس لها عنوان سوى حمى الطائفية، بداية من الشعارات الخطرة، التي وسمت حراكهم بوسم الفساد، حيث صاروا يصيحون «يا لثارات الحسين»، وسموا كتائب قتالهم الظالم بشارات «الفاطميون» و«الزينبيون» والسيدة فاطمة والسيدة زينب، وآل البيت منهم براء، وأهل سورية يحبون الآل والأصحاب، ولا يفرقون بينهم، ويقولون عنهم: رضي الله عنهم جميعاً.

وأول بوادر التدخل كانت بإدخال مليشيات تدعي حماية ضريح السيدة زينب، إن هي إلا ذريعة كاذبة، وحجة مكشوفة، فقبر السيدة زينب له مئات السنين بدمشق، ولم يعتد عليه أحد في يوم من الأيام، وأهل سورية يحبون السيدة، وما عرفنا هذا الهراء الذي صار يتهم به شعب سورية، إلا لما ظهر هذا النظام الطائفي، وتحالف مع أعوانه الضالين المضلين.

التدخل الطائفي

ثم لما شعر نظام إيران أن نظام سورية صار يترنح، وهو قاب قوسين أو أدنى من السقوط، بفعل ثورة الشعب، هنا رسم خطته، وأدخل كتائبه الطائفية، من كل حدب وصوب، بإشراف الحرس الثوري الإيراني، وقائده قاسم سليماني، الذي ظهر يتبختر على إثر سيطرة القوى الطائفية على حلب، بفعل دمار ممنهج من القوات الروسية الغازية.

فكان «حزب الله» اللبناني وكذا العراقي، في مقدمة القوى الطائفية التي ارتكبت مجازر بحق أبناء الشعب السوري، وشارك في الإجرام المنظم والإرهاب العريض كتائب من الطائفيين، منها لواء أبي الفضل العباس، وعصائب أهل الحق، وحزب النجباء، وفيلق الوعد الصادق، وهم عبارة عن تجمع طائفي من بلدان مختلفة.

ومن مخاطر البعد الطائفي الذي يمارسه النظام، ومن سانده، من الطائفيين وغيرهم، تلك الجريمة التي تمارس على الأرض، ألا وهي قضية «التغيير الديمجرافي»، وذلك عن طريق ترحيل أبناء أهل السُّنة وتهجيرهم من ديارهم، وإحلال طائفيين مكانهم، أو التجهيز لذلك الإحلال، وارتكبت فظائع في هذا المجال، ومنها ذاك الذي حدث في داريا، وما قصة «الباصات الخضر» عن وسائل الإعلام عنا ببعيد، حيث كانت تنقل الناس من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد، وهذا يعكس صورة مؤلمة ومحزنة ومقلقة، كما حدث في حلب، ووادي بردى، والزبداني، ومضايا، وغيرها من المواقع الجغرافية، حتى صار رأس النظام يباهي بهذا، ليصف المجتمع السوري -بعد عملية التغيير الديمجرافي- بأنه أكثر تجانساً، وهذا أمر خطر، وشأن دبر بليل، ويحتاج إلى جهود من أجل مقاومة هذا التغيير الديمجرافي.

ويلزم لمقاومة هذا الخطر الداهم أن يتعاون السوريون فيما بينهم، وتشجيع أصحاب مشاريع مواجهة هذا التغيير، وكذا الوصول إلى منظمة التعاون الإسلامي، ونخص بالذكر منهم بعض الدول ذات الاهتمام في هذا الجانب، بحكم جملة من الاعتبارات، ومنها تركيا، كما أن فضح هذا المشروع على المستوى العالمي، ووضع المجتمع الدولي أمام مسؤولياته، من واجبات الوقت.

هذا البعد الطائفي المحزن، الذي يمارس من طرف واحد، على شعبنا، قابله أهلنا من أبناء الثورة بشعارات الوحدة السورية الوطنية، واتفقت كلمة معارضته -وهي من كل أطياف الشعب السوري- في الوثائق المعلنة على نبذ الطائفية، وأنها ليست بسبيل مستقيم، وهم يؤكدون أن الشعب السوري ليس طائفياً، وإنما الطائفية نبتت في تكوينات النظام السوري، وغذيت من مصادر النظام الإيراني، وأذرعه هنا وهناك.

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه بقوة: إلى متى يظل شعبنا يذبح -على مرأى ومسمع كل العالم- من هؤلاء الطائفيين الإرهابيين شذاذ الآفاق، الذين لا خلاق لهم؟■

سورية بلد سُني طبقاً للأغلبية ودمشق عاصمة الحضارة الأموية في بُعدها المعرفي الإسلامي وتاريخها السياسي والثقافي

«حافظ الأسد» اعتمد الطائفية طريقاً للسيطرة على مقاليد السلطة وجعل مفاصل الدولة بيد الطائفيين

كان نصيب أهل السُّنة الإقصاء والفصل من الوظائف والتسريح من الجيش والسجون والإعدامات والتهجير

عمل «الأسد» ونظامه على بناء علاقة قوية مع نظام الملالي بطهران إمعاناً في إغراق البلد بالطائفية

رغم أن الثورة انطلقت سلمية ولم يرفع فيها شعار واحد يشي بطائفية فإنها قوبلت بالحديد والنار

البناء الاقتصادي..
بين الحضارة الإسلامية والغربية

بقلم: د. أشرف دوابه

حملت الحضارة الإسلامية شعلة النور والهداية والعدل للعالمين، فما عرفت عنصرية أو ظلماً أو إقصاء، بل كانت راية للعدل وميزاناً للقسط: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥)، وتحت راية العدل برز الاقتصاد في تلك الحضارة لعمران الأرض: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١)، وانطلاقاً من عهد الرسالة والخلافة الراشدة والدولة الأموية الممتدة في ربوع الأرض، سوف نركز على البناء الاقتصادي في الحضارة الإسلامية في تلك المراحل من حياة الأمة الإسلامية.

إن البناء الاقتصادي في الحضارة الإسلامية قوامه الإنسان باعتباره خليفة الله في أرض الله؛ (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: ٣٠)، لتحقيق الرسالة السامية وهي العبادة لله عز وجل؛ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾) (الذاريات)، باعتبار العبادة اسماً جامعاً لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، لذا فالسلوك الاقتصادي من إنتاج وتوزيع واستهلاك وتدبير لا يقتصر في الحضارة الإسلامية على الجوانب المادية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى التوجيه نحو السلوك الإنساني الرشيد الذي يحقق التوازن بين الجانب النفسي والجانب المادي؛ (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾) (قريش)، بميزان قوامه البناء والتعمير والإصلاح لا الهدم والتخريب والتدمير، قوامه العدل والإحسان والرحمة، لا الفحشاء والمنكر والبغي؛ (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾) (النحل).

المنطلقات الاقتصادية للرسول:

لقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ليحمل للدنيا قيمة التكريم للإنسان بغض النظر عن جنسه ونوعه ولونه؛ (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾) (الإسراء)، ولم يكن الاقتصاد يوماً من الأيام بعيداً عن منطلقاته، بل كان منبعاً رئيساً لتلك المنطلقات، فحينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة اتخذ بناء اقتصادياً حضارياً للأمة من خلال قراراته الثلاثة ممثلة في بناء المسجد الذي كان تعليم الاقتصاد جزءاً منه، وكذلك المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التي كانت مؤاخاة اقتصادية امتدت إلى الميراث، فضلاً عن قرار إقامة سوق المدينة، فقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم سوق المدينة في بني قينقاع -أحد أحياء اليهود- وكان هؤلاء اليهود أصحاب السيطرة والنفوذ لما عرف عنهم من الأثرة والظلم، وأكل المال بالباطل، وتعاطي الربا، والاحتكار وغير ذلك، فما كان منه إلا أن اختار موضعاً آخر يناسب عمليات البيع والشراء، وإجراء المبادلات والمعاملات بين الناس، وجعله فسيحاً منظماً، وقال: «هَذَا سُوقُكُمْ فَلَا يُنْتَقَصَنَّ وَلَا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ» (رواه ابن ماجه).

> البناء الاقتصادي في الحضارة الإسلامية قوامه الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض
>
> النبي أقام بناء حضارياً اقتصادياً لا يعرف للغش والغبن والاحتكار والربا وأكل المال بالباطل سبيلاً

وحينما امتدت ربوع دولة الإسلام وفتح الله على المسلمين مكة المكرمة لم ينفصم الاقتصاد عن واقع حياة الناس، فظهرت حقيقة قيمة البعد العقدي والأخلاقي في الاقتصاد وبناء الحضارة الإسلامية، فحينما نزل قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾) (التوبة)، رأى بعض مسلمي مكة الذين يعيشون على التجارة في موسم الحج أن منع المشركين من الحج إلى بيت الله الحرام سوف يؤدي إلى كساد تجارتهم وانهيارها، وجاء الوعد من الله تعالى ليريح بالهم ويبين لهم أن أمر الرزق بيد الله تعالى، وإن كانوا يخافون الفقر فسوف يغنيهم الرزاق من فضله.

لقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بناء حضارياً اقتصادياً لا يعرف للغش والغبن والاحتكار والربا وأكل المال بالباطل سبيلاً، بناء حرص على جمع الزكاة لتحقيق التوازن الاجتماعي وإقطاع الأرض لمن يريد أن يحييها بالاستصلاح لتوسيع العمران، واحترام الملكية الفردية بصورة لا ضرر فيها ولا ضرار.

البعد الاقتصادي عند أبي بكر وعمر:

ولما جاء الخلفاء الراشدون من بعده، كان أهم ما تميز به عصر الصديق إبراز قيمة البعد الاقتصادي الحضاري في المحافظة على حقوق الفقراء والذود عنها بالسيف، ففي الوقت الذي كرست فيه النظم الوضعية الانحياز للأغنياء على حساب الفقراء حتى يومنا هذا، قال أبو بكر رضي الله عنه كلمته المشهورة: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه».

كما ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أروع الأمثلة في البناء الحضاري الاقتصادي، وفي مقدمة ذلك سياسته الاقتصادية التي اتسع مجال التكافل الاجتماعي فيها ليشمل المسلمين وغيرهم، فقد مرّ عمر بن الخطاب بباب قوم، وعليه سائل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: مِنْ أيّ أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسألُ الجزيةَ والحاجةَ والسنّ، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءَه، فوالله ما أنصفناه أنْ أكلنا شبيبته ثم نخذلُه عند الهَرَم!

كما راعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوازن الاجتماعي في تقسيم الأرض التي افتتحت عنوة بين المسلمين حينما قال له معاذ رضي الله عنه: والله إذن ليكوننّ ما تكره، إنك إن قسمتها صار الرّيْع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قومٌ يسدُّون من الإسلام مسداً، وهم لا يجدون شيئاً، فانظر أمراً يسع أوّلهم وآخرَهُمْ، فصار عمر إلى قول معاذ.

النموذج الأندلسي الحضاري والاقتصادي:

وحينما أخذت الدولة الإسلامية في الاتساع في ظل حكم الأمويين أبقت كذلك أهل الأرض على أرضهم مع دفعهم الخراج من الإنتاج الزراعي للأرض، ويعد النموذج الأندلسي نموذجاً فريداً في البناء الحضاري الاقتصادي، ففي العام ٨٢٢م كانت نصف المساحة المزروعة في الأندلس من أراضي العشر، وبدا دور الدولة واضحاً في دفع عملية الإنتاج الزراعي، وتشجيع استصلاح الأراضي وتحسين قواعد الزراعة لصالح أهل البلاد أنفسهم وليس كما عمل المستعمر في ديار المسلمين من استغلال الأراضي في الدول التي استعمرها لصالح بلده الأم.

كما شهدت الفترة ما بين ٨٢٢ - ٩٥٠م توجهاً كبيراً نحو التوطن في المدن التي أنشأها المسلمون بالأندلس، حتى تضاعف على سبيل المثال عدد القرى ثلاث مرات في ولاية قرطبة وحدها، كما كانت مدن الأندلس لا سيما المرية وإشبيلية ومالقة مراكز ضخمة ومهمة للتجارة الدولية من جميع مناطق البحر الأبيض المتوسط دون تمييز بين تاجر مسلم وغيره من أصحاب الديانات الأخرى من اليهود والمسيحيين.

وقد تغيرت الحال بعد تحول الأندلس للحكم المسيحي، فباتت التجارة الدولية للمسلمين نسياً منسياً، ويذكر «أوليفا ريمي كونستبل»، أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا، أن القوة النسبية والشهرة التي تمتعت بها جماعات التجار في الأندلس عانت تغيراً ملموساً بين القرنين الرابع والسابع الهجريين (العاشر والثالث عشر الميلاديين)، حيث سيطر التجار المسيحيون على التجارة الدولية.

وقد كان ذلك التضييق على التجار المسلمين عاملاً رئيساً لنمو سريع في موانئ أوروبا الجنوبية ولجماعات التجار فيها، وفقدت ثغور الأندلس نقاط توزيع البضائع القادمة من شرق العالم الإسلامي إلى غربه؛ ومن ثم فقدت أهميتها التجارية التي كانت تتمتع بها فيما قبل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) من إنتاج البضائع واستهلاكها

عصر الصِّديق تميز بإبراز قيمة البعد الاقتصادي الحضاري في المحافظة على حقوق الفقراء والذود عنها بالسيف

مدن الأندلس كانت مراكز ضخمة للتجارة الدولية دون تمييز بين تاجر مسلم وغيره

وإعادة توزيعها، وغدت الأسواق الإسبانية مجرد تابع لفلك التجارة الأوروبية، واقتصرت على استهلاك البضائع المستوردة، وغدت بشكل متزايد مصدراً للمواد الخام للأسواق الأوروبية، ولكنها لم تعد مركز توزيع دولياً للبضائع، وحل محل ثغورها بصورة ملحوظة مدينة جنوة الإيطالية التي أصبحت مركزاً لتخزين وتوزيع البضائع الدولية، واستفادت من البناء الاقتصادي للحضارة الإسلامية في الأندلس الذي كان منطلقاً للبناء الاقتصادي في الحضارة الغربية.

لقد كانت الأندلس في ظل حكم المسلمين دولة إنتاج وتوزيع، ويكفي أن نذكر هنا ما سطره ابن حوقل عن انطباعات المسافرين وأوصاف الجغرافيين عن الأندلس بقوله: «وتتباهى هذه المدن بمواقعها ومبالغ خراجها ومداخيلها، ولا توجد مدينة منها لا تعرف الاكتظاظ، أو ليست محاطة بالأرياض القروية الواسعة أو بولاية كاملة، مع وجود القرى والفلاحين الذين يتمتعون بالنعمة ويمتلكون المواشي الصغيرة والكبيرة والمعدات الجيدة وحيوانات الحمل والحقل.. وتقارب أثمان السلع فيها أثمان المناطق المشهورة برخصها، الغنية بمواردها، المنعمة حيث تطيب الحياة».

كما يكفي هنا أن نشير إلى ما ذكره الباحث الإسباني «بدرو شلميطا» من توصيف لحضارة المسلمين في الأندلس مقارنة بالحضارة الغربية بقوله: «لقد كانت الأندلس بالنسبة إلى سكان الممالك النصرانية الشمالية من شبه الجزيرة الأيبيرية قطعة من الجنة وأرض المعاد، لم يطل الزمن بهذا الشعور حتى تحول إلى الطمع والنهب والخطف، وأدى انتشار هذه المشاعر إلى ظهور سياسة عدوانية مخططة من أجل غايات اقتصادية، فكان احتلال الأندلس واستثمارها فيما بعد الهدف المعلن عنه في صفوف الطبقات العليا من المجتمع الإسباني النصراني.

هذا المجتمع الذي فضل سياسة ابتزاز الجار على سياسة تنمية الموارد الداخلية، لأنها موجهة قبل كل شيء إلى الحصول على الغنائم وفرض الإذلال، وإذا أردنا فعلاً معرفة درجة غنى الأندلس وأهميتها، فيجب أن نتذكر أنها قامت على الاكتفاء الذاتي، وأن نموها دام ثلاثة قرون.

لقد كانت الأندلس قادرة في سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م وحتى ٧٥ سنة إضافية على أن تدعم وتمول -دون إرادة منها- نمو مجموعة اجتماعية أخرى، طفيلية وأجنبية؛ هي الدول النصرانية الشمالية، ومن الصعب تقديم دليل أفضل من ذلك لحقيقة الاقتصاد الأندلسي وأهميته منذ نشأته وحتى تولي المرابطين السلطة».

حضارة فقدت إنسانيتها!

إن الحضارة الغربية إذا كان نبتها جاء من التقليد والمحاكاة للحضارة الإسلامية في دولة الأندلس، إلا أنها فقدت إنسانيتها يوم أن قدمت التعصب الطائفي على الكرامة الإنسانية، وهدمت الإنسان المسلم بمحاكم التفتيش قبل أن تهدم إنتاجه وتوزيعه وتستولي على موارده، وهذا ديدن تلك الحضارة التي قامت على جماجم المسلمين في الأندلس، وجماجم الهنود الحمر في أمريكا، ولم تترك بلداً استولت عليه إلا نهبت مقوماته وخيراته.

الحضارة الغربية قدمت التعصب الطائفي وهدمت الإنسان المسلم بمحاكم التفتيش قبل أن تهدم إنتاجه

المدارس الاقتصادية الغربية لم تهتم إلا بذاتها واستخدمت غيرها لتحقيق مآربها

والمتتبع للمدارس الاقتصادية التي تبنتها الحضارة الغربية يجد أنها مدارس قامت على استعباد الآخر واستغلال ثرواته لصالح الدول الغربية، فإسبانيا التي قامت على جماجم المسلمين في الأندلس كانت منبتاً لظهور مدرسة التجاريين، تلك المدرسة التي عرفت طريقها للظهور في القرن السادس عشر الميلادي، وكانت منطلقاً للأطماع الاستعمارية من خلال دعوتها لتدخل الدولة لمنع تسرب الذهب والفضة إلى خارج البلد، وتشجيع الصادرات لجلب أكبر قدر منهما، وهو ما فتح المجال أمام الغرب لاستعمار البلدان النامية -وفي القلب منها البلدان الإسلامية- لتدعيم أرصدتها من الذهب والفضة.

وظهرت بعدها مدرسة الطبيعيين في فرنسا في القرن الثامن عشر الميلادي، التي كانت ترى أن كل شيء له قانونه الطبيعي، وأن المجتمع الإنساني يجب ألا يتدخل أبداً في القوانين الطبيعية وإلا فسدت حياته، وحيث إن النشاط الاقتصادي مثل أي شيء له قانونه الطبيعي، فيجب أن يترك حراً تماماً دون تدخل من جانب الدولة، واعتبرت تلك المدرسة أن الطبيعة وحدها هي التي تعطي ناتجاً صافياً للناس، ولذلك ركزت كل اهتمامها على النشاط الزراعي باعتباره المصدر الأساسي للدخل، وكانت أيضاً مدخلاً لاستعمار البلدان الإسلامية والاستيلاء على أراضيها.

استعباد أرباب الأعمال:

وحينما ظهرت المدرسة التقليدية وانتشرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، كان اهتمامها منصباً على الثروة وكيفية نموها، في حين لم تلق بالاً لصانع هذه الثروة، واستعبد أرباب الأموال أرباب الأعمال، وباتت المرأة فريسة للرأسمالية الصناعية واستغلالها، وكان ذلك مدعاة لظهور المدرسة الاشتراكية في منتصف القرن التاسع عشر التي كانت رد فعل للمدرسة التقليدية والنظام الاقتصادي الرأسمالي، تلك المدرسة التي طالبت بإرساء نظام الملكية الجماعية بدلاً من الملكية الخاصة، وحاربت الدين ووصفته بأفيون الشعوب، وكان من نتيجة ذلك أن انتكست الاشتراكية بمخالفتها للفطرة الإنسانية، ولم تعرف شعوبها سوى الاشتراكية في الفقر بالوقت الذي تحول حكامها ورجال الحزب إلى مرتع للترف والثراء، وهو ما عجل بانهيارها في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي.

إن الماضي والحاضر يكشفان أن المدارس الاقتصادية الغربية لم تهتم إلا بذاتها، واستخدمت غيرها لتحقيق مآربها، وحالت بين دول العالم الثالث واللحاق بركاب التقدم،

مستخدمة في ذلك قدرتها العسكرية، أو قوتها الناعمة من خلال مندوبيها في تلك الدول الذين وصلوا لأعلى المناصب بدعمهم، أو من خلال المؤسسات المالية الدولية التي تجيد استعباد تلك الدول بالديون، وهذا بعكس الحال في الحضارة الإسلامية التي حملت التنمية والرحمة والعدل للعالمين.

إنه رغم ما وصلت له الحضارة الغربية من تقدم مادي، فإنها فشلت في بناء إنسان صالح سوي، فأخفقت في تحقيق الأمن النفسي والروحي جنباً إلى جنب مع الأمن المادي للإنسان، حيث نظرت النظريات الاقتصادية لتلك الحضارة إلى الإنسان على أنه كائن عضوي جل همه إشباع غرائزه وشهواته وحاجته المادية، دون أي اعتبارات أخلاقية أو روحية، وكان من نتيجة ذلك أن تفاقمت المشكلات سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي من بطالة وتضخم وانحلال أسري وتفلت أخلاقي وشذوذ وذوبان للهوية.

وكل هذا يبرز مدى حاجة العالم ليستظل بظلال الحضارة الإسلامية ونظامها الاقتصادي الذي يراعي الفطرة الإنسانية، ويوازن بين الأمن الروحي والمادي، ويرسخ مفاهيم الأخلاق الفاضلة، وسد حاجات المجتمع، وتحقيق الحياة الطيبة لأفراده.■

مأثورات اقتصادية

عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر الفجر إذا صلى: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً». (أخرجه ابن ماجه).■

مفاهيم اقتصادية

التورق

إذا كانت العينة يتم فيها شراء السلعة بثمن مؤجل وبيعها بثمن معجل أقل لنفس البائع الأول، فإنه إن باعها إلى آخر فهو التورق، والتورق مأخوذ من ورق، وهي الدراهم المضروبة من الفضة، والجمهور على إباحته، لأنه بيع لم يظهر فيه قصد الربا، وحرمه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم على أنه بيع مضطر.

وقد تحول التورق في بعض المصارف الإسلامية إلى صورة منظمة ممنهجة بغرض التحايل على الربا باسم توفير السيولة لعملائها، وهو ما يدخل في فقه الحيل المذمومة، التي دأبت عليه بعض هذه المصارف، وقد حرم مجمع الفقه الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي لمنظمة التعاون الإسلامي التورق المصرفي المنظم؛ لأن فيهما تواطؤاً بين الممول والمستورق، صراحة أو ضمناً أو عرفاً، تحايلاً لتحصيل النقد الحاضر بأكثر منه في الذمة وهو ربا.■

أخبار اقتصادية

مؤتمر «المصارف الإسلامية بين فكر المؤسسين وواقع التطبيق».. ١٦ أبريل الجاري

تعقد الأكاديمية الأوروبية للتمويل والاقتصاد الإسلامي (إيفي) مؤتمرها الأول برئاسة د. أشرف دوابه، تحت عنوان «المصارف الإسلامية بين فكر المؤسسين وواقع التطبيق»، للوقوف على فكر المؤسسين الأوائل للمصارف الإسلامية وتطلعاتهم لها وما آل إليه وضعها، ومدى اتفاقه أو اختلافه مع ما هدفوا إليه وسعوا تجاهه، والكشف بصورة علمية دقيقة عن ذلك دون تبرير للواقع أو تقليل للفكر والجهد المبذول من المفكرين والرواد والمؤسسين الأوائل.

يعقد المؤتمر بفندق رويال ريتاج بإسطنبول تركيا خلال يومي ١٦ و١٧ أبريل ٢٠١٨م، ويحضره كوكبة من العلماء في مقدمتهم د. علي القرة داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، د. عبدالستار أبو غدة، المستشار الشرعي للعديد من المؤسسات المالية الإسلامية، فضلاً عن أكثر من ٢٠ بحثاً لباحثين من أكثر من ١٠ دول.

وحول هذا المؤتمر، أصدرت الأكاديمية الأوروبية للتمويل والاقتصاد الإسلامي (إيفي) بياناً جاء فيه:

كانت فكرة وجود بنك إسلامي في بدايات الستينيات من القرن الماضي وما قبلها ضرباً من الخيال، في ظل ما روجه دعاة الفكر الغربي وأسرى الاقتصاد الوضعي في بلادنا الإسلامية بأنه لا اقتصاد بغير بنوك ولا بنوك بغير فوائد، ولكن هذا لم يمنع شرعيين واقتصاديين مخلصين ورجال أعمال عاملين من السعي لوجود بنوك إسلامية في واقع حياة المسلمين لا تتعامل بالفائدة أخذاً أو عطاءً، ولا تعرف سبيلاً للتعامل في المحرمات، وتسهم بفعالية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالبلدان الإسلامية.

وقد كان للرواد الأوائل المؤسسين من شرعيين واقتصاديين ورجال أعمال الفضل بعد الله تعالى في أن تكون المصارف اللبنة الأولى للاقتصاد الإسلامي في العصر الحديث، وقد شهدت تلك المصارف تطوراً سريعاً وانتشاراً واسعاً، وتنوعت خدماتها ومنتجاتها لتغطي معظم احتياجات الأفراد والجماعات والمؤسسات على حد سواء، حتى تمكنت من فرض نفسها في ساحة الاقتصاد العالمي سواء على مستوى الدول العربية والإسلامية أو الدول الغربية.

ورغم ما تشهده هذه المصارف من نجاح في مجالات عديدة، فإنها في حاجة إلى المزيد من المساهمة الفعالة في عملية التنمية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي وحسن اختيار موظفيها وحوكمة وتفعيل الرقابة الشرعية فيها.

وفي هذا الإطار، يأتي المؤتمر الأول للأكاديمية للوقوف على فكر المؤسسين الأوائل للمصارف الإسلامية وتطلعاتهم لها وما آل إليه وضعها، ومدى اتفاقه أو اختلافه مع ما هدفوا إليه وسعوا تجاهه.■

اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى (٦)

اليهود وأمة الإسلام.. الأمس والغد

وصلنا إلى ختام سلسلة «اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى»، وقد عرضنا فيها بإيجاز واختصار سريع لأحوال اليهود في ظل الأمة الإسلامية عبر مختلف الأحقاب، وهو الموضوع الذي التزمنا فيه أن ننقل حصراً عن المستشرقين والمؤرخين الغربيين كي تكون الحجة أبلغ والشهادة أقوى، وقد بدأنا في المقال الأول حديثاً عاماً عن حظ اليهود من الحياة بين المسلمين مقارنة بحظهم منها لدى الأمم الأخرى وعن منهجنا في النقل، ثم تحدثنا في المقال الثاني عن اليهود في ظلال الخلافة الراشدة، وفي الثالث: عن اليهود في ظلال الدولة الأموية والعباسية، وفي الرابع: عن اليهود في الأندلس، وفي الخامس: عن اليهود في الدولة العثمانية.

محمد إلهامي
باحث مصري في التاريخ والحضارة الإسلامية

ليس من أولئك الذين نقلنا عنهم أحد كانت له مصلحة في نفاق المسلمين أو تزوير التاريخ، إذ سائر هذه الكتب كتبت في عصر الاحتلال والهيمنة الغربية على بلادنا، بل هي كتبت كذلك في عصر صعود القوة اليهودية والصهيونية سواء قبل «هرتزل» وحتى ما بعد تأسيس «إسرائيل»، وإنما كان الأمر بحثاً علمياً بحتاً، والواقع أن الأمم حين تكون في مواجهة مستعرة ومتكافئة مع عدوها تنحو الحالة الثقافية العامة بما فيها البيئة العلمية نحو التشويه والتخويف والتشنيع، فتكون سلاحاً في المعركة القائمة، بينما حين يهدأ غبار المعارك ويتحقق النصر الكامل ولا يبقى ثمة تخوف أو تهديد من العدو فإن البيئة العلمية تنحو إلى الدراسة الموضوعية للخصم، بينما تُترك مهمة التشنيع والتخويف للأداة الإعلامية.

والبيئة العلمية نفسها في بحوثها الموضوعية لا تنفك أيضاً أن تكون سلاحاً في المعركة، ذلك أنه يعتمد الدراسة الموضوعية بغرض الوصول إلى الحقائق التي تمهد له سبل السيطرة والهيمنة واكتشاف الثغرات، وتلك سيرة الاستشراق منذ بدأ، لقد بدأ في عصر التفوق الإسلامي

والتهدد الوجودي الأوروبي، فكان حالة عامة من الهياج والخوف والتشنيع والتشويه، ثم انتهى في عصر التفوق الغربي ليكون أداة علمية قوية وكاشفة تحاول فعلاً سبر أغوار الأمة وفهمها عبر الدراسة العلمية الموضوعية الرصينة.

خلاصة الختام

وخلاصة ما نختم به هذه السلسلة أن نعيد التذكير بأن المسألة اليهودية في التاريخ الإسلامي فرع عن مسألة أهل الذمة بشكل عام، وهي المسألة المحاطة بنصوص الوحي وبسُنة النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء بشأنها ما لا يمكن أن يوجد في قانون حماية أقليات لا في ذلك العصر ولا حتى في عصرنا هذا،

الأمم حين تكون في مواجهة مع عدوها تنحو الحالة الثقافية العامة نحو التشويه والتخويف والتشنيع

بعض المستشرقين منصفون في عرضهم لتاريخ التعامل الإسلامي مع اليهود بينما الغالبية استكبروا عن قول الحق واضحاً

الاستشراق بدأ في عصر التفوق الإسلامي فكان حالة عامة من الهياج والتشويه

وأهم من مجرد وجود النص أن يكون هذا النص نصاً دينياً مقدساً، يطبقه المسلم وهو يتعبد لله به لا لمجرد تنفيذ قانون السلطة الذي لا يتمتع بالقدسية الدينية في ضمير من ينفذه مما يفتح الباب واسعاً للتلاعب واستغلال الثغرات، ونحن في عصرنا هذا نرى ما يحدث للمسلمين في بلاد تُسوّق لنفسها على أنها دولة مؤسسات وقانون راسخ وقضاء مستقل!

من هنا، كان القانون الإسلامي ذا خصوصية، حتى إنه يمكن إجمال تاريخ أهل الذمة كله تحت ظل الإسلام في قول المؤرخ والمستشرق الفرنسي إدوارد بروي: «قلما عرف التاريخ، والحق يُقال، فتوحات كان لها، في المدى القريب، على الأهلين مثل هذا النزر الصغير من الاضطراب يحدثه الفتح العربي لهذه الأقطار، فمن لم يكن عربياً من الأهلين لم يشعر بأي اضطهاد قط، فاليهود والنصارى الذين هم أيضاً من أهل الكتاب، حُقّ لهم أن يتمتعوا بالتساهل وألا يُضاموا، والمطلوب من هؤلاء السكان أن يُظهروا الولاء للإسلام ويعترفوا بسيادته وسلطانه، وأن يؤدوا له الرسوم المترتبة على أهل الذمة تأديتها، والامتناع عن كل دعوة دينية لهم لدى المسلمين، وفي نطاق هذه التحفظات التي لم تكن لتؤثر كثيراً على الحياة العادية، تمتع الذميون بكافة حرياتهم»[1].

إلا أن عدداً من الباحثين رأى أن اليهود تمتعوا بوضع خاص بين أهل الذمة طوال التاريخ الإسلامي، منهم المؤرخ الأمريكي اليهودي «سالو و. بارون»، الذي يوصف بأنه أعظم مؤرخ يهودي في القرن العشرين، الذي يقول: «في الحقيقة يبدو أن هنالك نوعاً من الود لطبيعة اليهود في حضارة الإسلام، وبالرغم من تصنيفهم ضمن فئة الذميين غير المحببة، فواقع الأمر هو أن المراكز الأكثر ازدهاراً للمجتمعات اليهودية، منذ نشوء الخلافة حتى إلغاء أحياء اليهود في أوروبا، قد تواجدت في البلاد الإسلامية: في العراق أثناء الحكم العباسي، وفي إسبانيا خلال فترة سيطرة البربر، وبعد ذلك في الإمبراطورية العثمانية»[2]، وهذه العبارة وحدها من مؤرخ كهذا كافية كدليل في موضوعنا هذا.

ولما انقلبت أحوال الأمة وأحوال اليهود، انقلبت الحال، ورأينا منهم فعل مَنْ لم يرعَ فضلاً ولا وفّى جميلاً، ولم نستغرب، فقد قال الله تعالى: (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً) (التوبة: ٨)، وكيف نستغرب أن ينقض العهد معنا من نقض العهد مع الله؟! وكيف نرجو وداداً ممن قتلوا الأنبياء إن جاؤوهم بما لا تهوى أنفسهم؟!

ولو عاد بنا الزمان لعدنا إلى سيرتنا الأولى ذاتها ولم نعاملهم بأخلاقهم، فإننا في الأولى وفي القادمة نرعى أمر ربنا ونحفظ وصية نبينا، فلا نندم على ما فعلنا ولا نعزم على تغيير ما قدمنا، وذلك أيضاً فارق بين من كان الإسلام منطلقه، وبين من اتخذ له منطلقاً آخر من قانون أو سياسة أو انتقام.

بقيت كلمة في شأن المستشرقين الذين تناولوا هذا الموضوع: لقد أنصف بعض المستشرقين («جوستاف لوبون»، «زيجريد هونكه»، «توماس أرنولد») إذ عرضوا لتاريخ التعامل الإسلامي مع اليهود، بينما الغالبية استكبرت عن قول الحق واضحاً، فعرضت للموضوع بعبارات يكثر فيها الاستدراك والاستثناء والالتفاف والمناورة، ومع هذا عجز أغلب

المسألة اليهودية في التاريخ الإسلامي فرع عن مسألة أهل الذمة بشكل عام وهي محاطة بنصوص الوحي والسُّنة

مستشرق فرنسي عن اليهود والنصارى: المطلوب أن يُظهروا الولاء للإسلام ويعترفوا بسيادته ويؤدوا له رسوم أهل الذمة

هؤلاء عن أن يكتموا حقيقة التاريخ فانتزعنا من كلامهم هذه الفقرات السابقة، ولا ننكر أن بعضاً آخرين (مثل «جوستاف جرونيباوم») بلغ من الإنكار والتلاعب بالصياغة ما عجزنا نحن معه على أن نأخذ شيئاً واضحاً صريحاً، فلو أن المقام مقام مناظرة واحتجاج لكانت لنا وقفات تعليق وتعقيب وكشف للتناقض والمناورة والتلاعب، لكنه مقام استشهاد بالصريح من كلامهم، ولهذا أخذنا ممن أنصف وممن حاول الالتفاف والمخادعة، وتركنا الآخرين لمقام آخر إن شاء الله تعالى.■

الهامشان

(١) إدوارد بروي، القرون الوسطى، ضمن «موسوعة تاريخ الحضارات العام»، بإشراف: موريس كروزيه، مرجع سابق، ٣/١١٦. باختصار.

(٢) نقلاً عن: هاملتون جب وهارولد باون، المجتمع الإسلامي والغرب، مرجع سابق، ٢/٣١٠.

عرض: محمود المنير

بيانات الكتاب:

- اسم الكتاب: إدارة الأزمات السياسية وإستراتيجيات القضاء على الأزمات السياسية الدولية.
- المؤلف: د. محمد سرور الحريري.
- عدد الصفحات: ١٨٠.
- الناشر: دار الحامد للنشر والتوزيع - عمان.
- الطبعة: الأولى ٢٠١٢م.

إدارة الأزمات السياسية وإستراتيجيات القضاء على الأزمات السياسية الدولية

لا شك أننا نعيش في مرحلة حاسمة وخطيرة بالغة التعقيد ومتعددة الروابط والعلاقات، حيث يشهد عالمنا ومنطقتنا على وجه الخصوص حالة من السيولة في متغيرات حركتها السياسية والجيوستراتيجية، التي باتت ترتبط بكل مفاصل حياة دولنا وقضاياها المحورية والمركزية، من أمن واقتصاد وإدارة واجتماع واتفاقيات دولية وغير ذلك؛ لذا برزت أهمية متزايدة لعدد من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي تمثل منطلقات مهمة للتعامل مع هذه المرحلة، وبما تشهده من تغيرات سريعة مفاجئة.

ومن بين أبرز هذه العلوم: علوم المستقبليات، وعلوم الإستراتيجية، وعلوم إدارة الأزمات، في المجالات المختلفة، في الإدارة، وفي السياسة والاقتصاد، وكلها تتعلق بحياة المجتمعات الإنسانية ومسارات تقدمها وتخلفها، وهي معنية بالتعامل مع المتغيرات التي تشهدها.

هذا الكتاب

وبين أيدينا هذا الكتاب الذي يحمل عنوان «إدارة الأزمات السياسية وإستراتيجيات القضاء على الأزمات السياسية الدولية»، للباحث والأكاديمي المتخصص في العلوم الإستراتيجية والإدارية د. محمد سرور الحريري، الذي يتناول فيه المؤلف مجموعة من الموضوعات ذات الأهمية فيما يخص فن إدارة الأزمات السياسية وطرق وإستراتيجيات التعامل معها على المستوى الدولي، وهو كتاب جدير أن يقرأ في ظل الأزمات الدولية التي يشهدها العالم كالأزمة السورية والخليجية واليمنية وغيرها من الأزمات التي أصبحت سمة بارزة من سمة عصرنا الحالي.

محتويات الكتاب:

يضم الكتاب ثلاثة أبواب رئيسة:

الباب الأول: مدخل تعريفي بإدارة الأزمات السياسية.

الباب الثاني: قواعد إدارة الأزمات السياسية.

الباب الثالث: مدخل إستراتيجي لإدارة الأزمات السياسية.

ويضم الباب الثالث عشرة فصول اشتملت على تعريفات إدارة الأزمة السياسية وخصائصها، وكيفية التعامل معها، وأنواعها، وأنماط الإدارات وعلاقتها بإدارة الأزمة،

والمنهج العلمي المتكامل في إدارة الأزمة، وأشكال وأنواع الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والعالمية في إدارة الأزمات، ومنه على سبيل المثال:

- منظمة جنوب شرق آسيا.
- اتفاقية منظمة التكامل لدول أمريكا اللاتينية.
- الاتحادات الاقتصادية والسياسية.
- اتفاقية المجتمع الأوروبي.
- منظمة التجارة العالمية.

وينتظم الإطار العام لموضوعات الكتاب إلى قسمين؛ الأول: تحرير مصطلحات، حيث يركز على المصطلحات المرتبطة بهذا الأمر، مثل أهداف وخصائص ووظائف إدارة الأزمات السياسية، من وجهة نظر العلوم الإدارية، والثاني: تطبيقي، يتناول كيفية إيجاد الحلول المناسبة لكل الأزمات السياسية والمشكلات على المستوى الدولي التي تواجهها الدول والحكومات.

ويركز في هذا الإطار على كيفية قيام رئيس الدولة أو الحكومة والمسؤولين السياسيين بإيجاد حلول سريعة ومناسبة وفق معايير الكفاءة والفاعلية، وتحت الضغوط المختلفة التي قد يواجهونها، وذلك لمحاصرة الأزمات التي تواجهها الدولة، ومعالجة المشكلات القائمة والحالية، والتخلص منها.

والكتاب يتكون من ثلاثة أبواب كما أشرنا آنفاً، الأول عبارة عن مدخل تعريفي بإدارة الأزمات السياسية: تناول موضوع الكتاب، إدارة الأزمات السياسية، وسبب اختياره، والمنهج العلمي المتبع في كتابته، وأهميته.

وفيه يؤكد المؤلف أن التعقيد والتشابك الحالي في المصالح الدولية، وكذلك التقدم العلمي والتقني الكبير في العالم، أدى إلى ظهور مشكلات من نوع جديد أدت إلى ضرورة أن يقوم صناع القرار والمسؤولون السياسيون بالإجابة عن عدد من الأسئلة ذات الأهمية القصوى في عالمنا المعاصر، ومن بينها: ما الدولة؟ وما الحكومة؟ وما قدراتها؟ وما الواقع الأمني والاقتصادي والسياسي القائم في هذه الدولة؟ وكذلك ماهية المشكلات المستجدة، والبدائل المختلفة للتعامل معها.

وضرب أمثلة على هذه المشكلات، مثل الديون الحكومية لدى مؤسسات التمويل الدولية، وأزمات القضاء والمحاكم، وأزمة الغلاء وارتفاع الأسعار الأساسية، وأزمة عجز الموازنة العامة للدول، وأزمة التضخم، والأزمات التي تضرب قطاعات العمل الإستراتيجي الأخرى، مثل الصحافة والإعلام.

قواعد لإدارة الأزمات:

الباب الثاني، جاء بعنوان «قواعد إدارة الأزمات السياسية»، وانتظم في سبعة فصول، تناولت خصائص إدارة الأزمات السياسية، وأهدافها ووظائفها، ومجالات تطبيق إدارة الأزمات السياسية، ومشكلاتها، والنتائج الإيجابية لها، بالإضافة إلى بعض المصطلحات العلمية الخاصة بإدارة الأزمات السياسية؛ حيث أدرج المؤلف مسرداً بمائة وعشرة مصطلحات ذات صلة، ومعانيها باللغة الإنجليزية، مثل: أزمة، ومحنة، وضرورة، وكارثة، وعجز.

وتُعرّف الأزمة على أنها تعني «تهديداً خطراً متوقعاً أو غير متوقع لأهداف وقيم ومعتقدات وممتلكات الأفراد والمنظمات والدول والتي تحد من عملية اتخاذ القرار»، أما إدارة الأزمات فهي «المحافظة على الأصول والممتلكات، الخاصة بالكيان الذي يتعرض للأزمة، سواء أكان دولة أو شركة، أو ما شابه، وكذلك المحافظة على الأفراد والعاملين بها ضد الأخطار المختلفة».

ويرى المؤلف أن التعامل مع الأزمات السياسية وإيجاد طرق لحل هذه الأزمات عبارة عن علم وفن ومهارة وخبرة، وتحتاج إلى وعي شامل وصبر ومثابرة وعدم نكوص أو اهتزاز، وهذا ما يوفره علم إدارة الأزمات السياسية.

وتتطلب عملية إدارة الأزمة عدداً من الأمور، من بينها أن يكون هناك إدراك بأن هناك أزمة، ومهمة فريق الأزمة بالأساس تتمحور حول عدد من المهام، من بينها:

١- التنبؤ بالأزمات والمشكلات المختلفة، ووضع بدائل لها.

٢- وضع خطط مستقبلية متكاملة للتعامل مع الأزمات السياسية والسيادية.

٣- توجيه النصح والإرشاد للمسؤولين المختلفين، كل في مجاله.

وتتوقف كفاءة فريق العمل القائم على إدارة الأزمات على عدد من الأمور، من بينها إدراك حقيقة الأزمة وتوصيفها بشكل دقيق، ومعرفة أسبابها، والإمكانات المطلوبة لمعالجتها، والمتاح منها، والوقت المطلوب لمعالجتها.

وهناك عدد من المجالات التي يجب من خلالها تطبيق إدارة الأزمات السياسية، من بينها المؤسسات الأمنية والوزارات السيادية والجهات الدبلوماسية والشركات والبنوك الحكومية.

ومن بين المشكلات التي تواجه صناع القرار ومتخذيه وفرق إدارة الأزمات، ندرة المعلومات والمصادر المكتوبة في مجالات العلوم الإدارية والإستراتيجية المختلفة التي تُعنى بهذه المسألة، وقلة الأقسام العلمية ذات الصلة في الجامعات والأكاديميات المختلفة، وقلة وجود متخصصين في علوم السياسة والإدارة.

وينعكس نجاح عملية إدارة الأزمة داخل الدولة في العديد من المظاهر، من بينها تحسين فرص تطبيق القانون، ووقف هدر الجهود المبذولة في اتجاه خاطئ، وتوفير الموارد البشرية والمادية، وكذلك الوقت، وتوجيهها في اتجاه آخر أكثر استفادة.

وهناك عدد من الضرورات التي تفرض إدراك أهمية إدارة الأزمات من جانب صناع القرارات داخل الدول والحكومات، من بينها أن الأزمات تؤدي إلى العديد من العواقب الوخيمة على الدولة والمجتمع، بما في ذلك إحداث

الدولة مؤسسة سياسية وقانونية تحكم مجموعة كبيرة من السكان بصفة دائمة داخل إقليم معين

ينعكس نجاح عملية إدارة الأزمة من خلال وقف هدر الجهود المبذولة باتجاه خاطئ وتوفير الموارد

أجواء سلبية وحالة من الخوف والهلع في أوساط المواطنين، وقد تهدد المصالح الحيوية للدولة، وهو ما يؤدي إلى تعطيل تقدم المجتمع والدولة ككل.

ويميز المؤلف في هذا الإطار بين المشكلة والأزمة، فالمشكلة أخف وطأة في مجالها الزمني وفي تأثيراتها، فإذا ما زادت عن مستوى زمني معين، وكذلك درجة من درجات التأثير السلبي؛ فإنها تتحول إلى أزمة أكثر عمقاً وتأثيراً، وغالباً ما تكون المشكلة قابلة للحل بشكل أسهل من الأزمات، خصوصاً الأزمات المزمنة التي تصعب معالجتها.

إستراتيجية إدارة الأزمات:

في الباب الثالث الذي يحمل عنوان «مدخل إستراتيجي لإدارة الأزمات السياسية»، الذي جاء في عشرة فصول، تناول المؤلف تعريفات إدارة الأزمات السياسية، ومرتكزاتها وكيفية التعامل معها، والمناهج المختلفة في هذا الإطار.

كما تناول المؤلف أنواع الإدارات المختلفة وعلاقتها بإدارة الأزمات السياسية، مثل: إدارة العمليات، وإدارة الدولة، والإدارة بالأهداف، وما يعرف بالإدارة الموقفية؛ أي إدارة المواقف الطارئة، والإدارة الإستراتيجية، وكيفية إدارة الهيئات السياسية.

مناهج التعامل مع الأزمات:

ركز المؤلف في هذا الباب على المناهج المختلفة للتعامل مع الأزمات، وقسمها إلى اتجاهَيْن؛ الأول: سلبي، يعتمد إما على إنكار وجود الأزمة، وتجاهل التعامل معها أصلاً، أو على الضغط عليها، ومحاصرة كافة المنافذ التي تؤدي إليها، وعزلها عن العوامل التي أدت إليها، أو تشكيل لجنة خاصة للتعامل معها، بشكل يؤدي إلى تضييع وقت طويل في التعامل معها، بما قد يؤدي إلى تفاقمها.

المنهج الثاني: هو المنهج الإيجابي في التعامل مع الأزمة، ومن بين الطرق المستخدمة فيه، الاهتمام بالجوانب السياسية والاجتماعية في الدولة ومعالجتها، وتشجيع المشاركة السياسية والمجتمعية، وتفتيت الجوانب السلبية للأزمة، وتشكيل فرق عمل مخلصة تعمل على إيجاد حلول ناجحة للأزمات التي تواجه الدولة بشكل فني ومخلص.

كذلك من طرق المنهج الإيجابي في التعامل مع الأزمة، محاولة امتصاصها، وتغليب مصالح المواطنين، والاهتمام بالجوانب الاقتصادية والثقافية للمجتمع وتطويرها، بحيث يكون المجتمع عاملاً مساعداً على معالجة الأزمات.

ويحدد الكاتب سبعين نوعاً من أنواع الإدارات التي يجب على الدول والحكومات الإلمام بها وتنميتها، من أجل تحسين قدرتها على التعامل مع مشكلاتها، من بينها: إدارة الأعمال الدولية، وإدارة نظم المعلومات الإدارية، وإدارة المعرفة، وإدارة الأفراد، وإدارة الإنتاج، وإدارة العملية التعليمية، والإدارة العامة، أو إدارة المؤسسات الحكومية، وصولاً إلى إدارة الدولة نفسها.

> **إدارة الأزمات تقوم على وضوح الأهداف ووجود خطط وسياسات وإستراتيجيات وخطوات متتابعة**

الأصول العلمية لإدارة الأزمات:

وتحدث المؤلف عن الأصول العلمية لإدارة الأزمات السياسية وذكر من أهم معالمها ما يلي:

- إدارة الأزمات السياسية إدارة مستقلة وخاصة تنطلق من مكمن قوة قائمة بكامل المناهج العلمية التي تجمع بين المنهج العلمي السياسي والمنهج الإداري والمنهج العلمي.
- إدارة الأزمات السياسية لها علاقة بمختلف العلوم الأخرى، مثل إدارة الأزمات الإدارية والاجتماعية.
- إدارة الأزمات السياسية تجمع بين ثلاثة تخصصات: الإدارة، السياسة، القانون الدولي العام والخاص.
- إدارة الأزمات هي فرع من قسم الدراسات الإنسانية والسياسية الإدارية، وتعتمد على فريق من العلماء والباحثين المختصين في الإدارة والسياسة.
- إدارة الأزمات تقوم على وضوح الأهداف ووجود خطط وسياسات وإستراتيجيات وخطوات متتابعة ومتسلسلة في تنفيذ الحلول للقضاء على الأزمات السياسية.

ماهية الدولة والاتفاقات الدولية:

ويتطرق المؤلف في هذا الباب إلى تعريف الدولة، لتوضيح المفاهيم التي يتناولها، فهناك عدد من المقومات الأساسية التي يجب توافرها في أي كيان سياسي لكي يحمل اسم «دولة»، وهي: السكان والأرض التي يعيشون عليها بمواردها، وسيادة واستقلال الدولة، والحكومة والنظام.

أي أن الدولة مؤسسة سياسية وقانونية تحكم مجموعة كبيرة من السكان، بصفة دائمة داخل إقليم معين، وقد تكون دولة بسيطة تخضع لحكومة مركزية، أو مركبة؛ حيث يكون لكل إقليم منها الحق في إدارة شؤونه الخاصة، باستثناء وظائف الدفاع والأمن والخارجية.

وفي ختام الكتاب خصص المؤلف فصلاً كاملاً، هو الفصل العاشر من الباب الثالث، تناول فيه أشكال ونماذج من الاتفاقيات والمعاهدات الإقليمية والدولية، التي تتضمن تعاوناً بين عدد من دول العالم المختلفة، سواء بشكل عام على مستوى العالم، مثل منظمة التجارة العالمية، أو على مستوى إقليم بعينه، مثل اتفاقية منظمة التكامل لدول أمريكا اللاتينية، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة التعاون لدول جنوب شرق آسيا، وغيرها من الاتفاقيات والمعاهدات وعلاقتها بالأزمات الدولية.■

كتب أخرى للمؤلف

صدر للمؤلف د. محمد سرور الحريري، وهو محاضر دولي متخصص في إدارة الأعمال الدولية والعالمية، عدة كتب متخصصة في علم الإدارة، منها:

- **إدارة المكاتب ومهارات السكرتارية التنفيذية الفعالة والمتقدمة.**
- **إدارة الأزمات الاقتصادية وطرق حل المشكلات الإدارية.**
- **إدارة التسويق الدولي والعالمي.. المعاصر والحديث.**
- **إدارة الأعمال الدولية والعالمية المعاصرة والحديثة.■**

مقال

بقلم: د. يوسف السند

المعايير الإيمانية والتربوية للمؤسسة الربانية (٦)

الجودة والإتقان

«إنَّ اللَّه تعالى يُحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملاً أنْ يُتقنَهُ» (حديث حسن)، «إنَّ اللَّه كتَب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ فإذا قتَلْتُم فأحسنوا القتْلةَ وإذا ذبَحْتُم فأحسِنوا الذِّبْحَ ولْيُحِدَّ أحدُكم شَفْرَتَه ولْيُرِحْ ذبيحتَه» (صحيح ابن حبان).

إن المؤسسة الربانية لتضع الجودة والإتقان في أعلى سلم أولوياتها ولا ترضى عنه بديلاً!

ومن الإتقان والجودة والإحسان في جميع مرافق المؤسسة تنطلق النهضة الشاملة في كيان المؤسسة؛ فتكون الخطوات التالية تسري في جسم المؤسسة:

- قناعة التغيير نحو الأحسن.
- تطوير أساليب التفكير.
- منهج العمل الواضح السهل المفهوم لدى جميع أفراد المؤسسة.
- إدمان التحسين المستمر.
- وجود معايير النجاح التي يُحتكم لها لكل زاوية ونشاط وقيمة من قيم المؤسسة.
- اعتماد منهجية الابتكار والإبداع والاكتشاف كعناصر نهضة وارتقاء.
- التقليل من العيوب والمخاطر والأخطاء.
- المتابعة الدقيقة للتصحيح والتقييم والتقويم والتصويب.
- حل المشكلات.
- توليد الأفكار.
- التشجيع والتقدير.

وبأجواء الجودة الفيحاء العبقة في أرجاء المؤسسة الربانية يتحلى العاملون المتقنون بالآتي:

- التراحم فيما بينهم؛ (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾) (البلد).
- الاحترام والتقدير.
- الحوار الراقي والمفيد.
- استثمار الوقت في النافع المفيد.
- حب الخير ونفع الغير.
- التواصي بالحق.
- التواصي بالصبر.
- المحافظة على النظافة والطهارة: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾) (البقرة)، (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾) (التوبة).
- احترام النظام.
- إعطاء كل ذي حق حقه؛ (وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ) (الأعراف: ٨٥).

ولعل بهذه المعايير وغيرها تتميز أعمال المؤسسة في بيئتها ورجالها، وتكون بعيدة عن العيوب والأخطاء.

وبهذا تحصل المؤسسة على جودة إنتاجها مقروناً بجودة خدماتها، بل يكون إنتاجها وفقاً للمعايير قابلاً للقياس، بل وتصبح الجودة والإتقان وضبطهما ومراقبتهما مهمة كل عامل موجود داخل المؤسسة!

لأن العاملين في المؤسسة الربانية لن يرضوا إلا بإتقان العمل الصواب المقرّب من الله تعالى، وهو أداء العمل بأسلوب صحيح متقن وفق مجموعة من المعايير المتفق عليها في لائحة المؤسسة مبتغين بذلك ما عند الله والدار الآخرة؛ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴿١٢﴾) (الإنسان).

والحمد لله رب العالمين.■

الاحتفال باليوم العالمي للمرأة..
رؤية فقهية

د. مسعود صبري
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

يجيء الاحتفال باليوم العالمي للمرأة كل عام في الثامن من مارس، معجبة به غالب النساء، معترضاً عليه غالب الرجال، محرماً له كثير من الفقهاء المعاصرين، باعتباره بدعة محدثة في الدين، لم توجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يفعله أوائل المسلمين من السلف والخلف، ولأن الاحتفال نشأ في بلاد غير المسلمين، وقد تقرر عند الفقهاء أن «الحكم على الشيء فرع عن تصوره»، فلا بد من معرفة طبيعة الاحتفال باليوم العالمي للمرأة، وكيف نشأ؟ وكيف يكون الاحتفال؟

الاحتفال باليوم العالمي للمرأة هو احتفال عالمي يحدث في اليوم الثامن من شهر مارس من كل عام، ويقام للدلالة على الاحترام العام، وتقدير المرأة لإنجازاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وكانت بداية الدعوة للاحتفال باليوم العالمي للمرأة في الثامن من مارس ١٩٠٨م، حيث خرجت ١٥ ألف امرأة في مدينة نيويورك بأمريكا يطالبن بأن تكون ساعات عمل المرأة أقصر، وأن يعدل أجرهن في العمل، وطالبن بحقهن بالتصويت في الانتخابات، وفي عام ١٩٠٩م تم إعلان يوم الثامن من مارس يوماً للمرأة من قبل الحزب الاشتراكي الأمريكي، وفي العام التالي ١٩١٠م عقد مؤتمر نسائي حضرته أكثر من مائة امرأة من ١٧ دولة واقترحن يوم الثامن من مارس ليكون يوماً للمرأة، وفي عام ١٩١٧م طالبت النساء الروسيات ببعض حقوقهن أيام الحرب العالمية الأولى، وتنازل القيصر الروسي عن الحكم وأعطيت النساء حق التصويت، ثم عقد أول مؤتمر للاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي في باريس عام ١٩٤٥، ثم أقرت الأمم المتحدة ذلك اليوم احتفالاً بالمرأة في عام ١٩٧٥م.

كيفية الاحتفال بيوم المرأة العالمي:

تتنوع أشكال الاحتفال باليوم العالمي للمرأة، وإن كان يغلب عليه طابع الإعلام، بأن هذا هو يوم الاحتفال بالمرأة، والتذكير بحقوقها وإنجاز بعض النساء في بعض المجتمعات.

ويأخذ الاحتفال شيئاً من الخصوصية في بعض الدول، ففي أمريكا يعلن أن شهر مارس هو شهر المرأة، ويصدر إعلان رئاسي للاحتفال بإنجاز المرأة الأمريكية.

وفي إيطاليا يتم الاحتفال بتبادل الزهور، وفي الصين تعمل النساء العاملات نصف يوم فقط، خاصة في المؤسسات الحكومية وبعض المؤسسات الخاصة.

التكييف الفقهي للاحتفال بيوم المرأة العالمي:

يجنح كثير من الفقهاء المعاصرين إلى تحريم الاحتفال بيوم المرأة العالمي، ويستندون في الحكم بالتحريم إلى عدة أمور، أهمها أن الاحتفال بيوم المرأة هو من جملة البدع والمحدثات التي دخلت بلاد المسلمين، بسبب غفلتهم عن أحكام دينهم، وابتعادهم عن هدي شريعة ربهم، وتقليدهم الأعمى للغرب في كل ما يصدر منه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وأنه ما من بدعة دخلت بلاد المسلمين إلا وقد أماتت سُنة من السنن، وذلك لحديث النبي صلى الله عليه وسلم في مسند أحمد: «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السُّنة فتمسك بسُنة خير من إحداث بدعة».

كما استندوا إلى أنه لا يجوز إحداث عيد غير الفطر والأضحى، لقوله تعالى: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ) (الحج: ٦٧).

كما أن تكريم الزوجة من الأمور التي حث الشارع عليها، لقوله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: ١٩)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في سنن الترمذي: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، كما أن الاحتفال دائماً لا يخلو من بعض المحرمات كالاختلاط ونحوه.

إشكالات في الإفتاء بالتحريم:

لكن هناك إشكالات كثيرة في الإفتاء بتحريم الاحتفال بيوم المرأة العالمي، وأول إشكال هو أن التحريم لا بد فيه من دليل، وليس هناك دليل يدل على تحريم ذلك الاحتفال؛ بمعنى أن الإعلان عن أن هذا اليوم يوم المرأة تكريماً لها، ليس هناك ما يدل على أن من يفعل ذلك آثم عند الله تعالى،

وأنه قد ارتكب محرماً.

ثم الاستدلال بأنه ليس للمسلمين أعياد غير الفطر والأضحى لا ينسحب على كل فتاوى العلماء في الباب، فهم يجيزون الاحتفال بالعيد الوطني وعيد التحرير وبعض الأعياد الوطنية، بل العجيب أن الاحتفال بالمرأة لا يسمى غالباً عيداً، وإنما يسمى «اليوم العالمي للاحتفال بالمرأة»، بينما في الاحتفالات الوطنية يسمى «العيد الوطني»، فهناك من الفقهاء المعاصرين من يجيزون الاحتفال بالعيد الوطني، وهناك من يحرمه، فلا يمكن القول بحرمة الاحتفال بيوم المرأة العالمي.

ثم النظر إلى مقصد حل مثل الاحتفال بهذه الأيام يكاد يكون واحداً، فالاحتفال بالوطن، والاحتفال بالمرأة وتكريمها من خلال إلقاء بعض الكلمات وإقامة الندوات ليس محلاً للتحريم.

ثم البناء على مفهوم البدعة المحدثة يحتاج إلى شيء من التحرير، خاصة أن كثيراً من أهل العلم يحرمون أشياء كثيرة بناء على هذا الأصل، وهو أن هذه بدعة محرمة، فالبدعة أولاً تتعلق بالزيادة أو النقصان فيما يتعلق بالأمور الشرعية، وليس من الأمور العادية.

وقد بين الإمام الشاطبي، رحمه الله، في كتابه «الاعتصام» أن البدعة على مراتب، منها ما يكون كفراً، ومنها ما يكون كبيرة محرمة، أو صغيرة محرمة، ومنها ما ليس حراماً، فقد يكون مكروهاً، فيقول: «البدع إذا تؤمل معقولها وجدت رتبها متفاوتة؛ فمنها ما هو كفر صراح، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن، كقوله تعالى: (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) (الأنعام: ١٣٩)، وكذلك بدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعة لحفظ النفس والمال، وما أشبه ذلك مما لا يشك أنه كفر صراح، ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر أو يختلف هل هي كفر أم لا! كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة، ومنها ما هو معصية ويتفق عليها بكفر كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع، ومنها ما هو مكروه: كالاجتماع للدعاء عشية عرفة، وذكر السلاطين في خطبة الجمعة وما أشبه ذلك، فمعلوم أن هذه البدع ليست في رتبة واحدة فلا يصح مع هذا أن يقال: إنها على حكم واحد، هو الكراهة فقط، أو التحريم فقط».

مارس شهر المرأة بأمريكا رسمياً وفي إيطاليا يتم الاحتفال بتبادل الزهور وبالصين تعمل النساء نصف يوم فقط

كثير من الفقهاء المعاصرين يحرّمون الاحتفال بيوم المرأة العالمي باعتباره من جملة البدع والمحدثات

وعلى هذا، فما ينبغي التسرع في إطلاق البدعة المحرمة على كل أمر لم يكن موجوداً زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا جعلنا غالب أمورنا بدعة، فارتفاع المنبر على حده الذي كان موجوداً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرش المسجد بالسجاد ونحوه، وإضاءة المسجد بالمصابيح الحديثة، ودهان المسجد، ورفع الأذان في مكبرات الصوت، وتحديد خطوط لتسوية الصلاة، وغيرها، كل هذه ليست بدعاً رغماً أنها أمور محدثة تتعلق بالدين، فكيف بما يتعلق بالعادات وليس بالعبادة؟!

أما الاستناد إلى أن الإسلام كرم الزوجة على الدوام وحث الزوج على حسن عشرة زوجته، وليس في يوم واحد، فمحل اتفاق من حيث الجملة، لكن المرأة ليست زوجة فقط، فهناك من النساء من لسن متزوجات، ثم هناك غير الزوجة، من الأمهات الأرامل، والبنات وغيرهن.

ثم أي وجه للتحريم إن أقرت الدولة إجازة للنساء العاملات، وبدلاً من أن يعملن يوماً كاملاً يعملن نصف يوم؟!

وليس هناك في الشريعة ما يمنع الإعلان عن إنجازات المرأة؛ لأنه داخل في عموم التسوية التي جاءت بها الشريعة، التي تكلم عنها النبي صلى الله عليه وسلم: «النساء شقائق الرجال».

إن المتتبع لنصوص الشريعة لا يجد ما يدل على تحريم الاحتفال العالمي بيوم المرأة، بل فحواه مطابق لما جاءت به الشريعة من إنصاف المرأة من الظلم، وإعادة الاعتبار لها باعتبارها أماً وزوجة وبنتاً وأختاً وعمة وخالة ورائدة ومربية للرجال.

على أنه لا مانع من مراعاة العادات والتقاليد في بلد من البلاد، فليس بلازم أن تقوم الدولة بالاحتفال إن رأت أنه ليس في ذلك مصلحة، أو رأى البعض ترك الاحتفال به، فالاحتفال باليوم العالمي للمرأة ليس واجباً حتى يكون ملزماً، بل الأمر فيه سعة، وإن كان البعض يرى في تكريم المرأة وجهاً من الوجوه، فلتكن وجوه تكريم المرأة متعددة، لكنه أصل من أصول الدين، وإن تنوعت الوسائل، ورعيت فيها الأعراف والتقاليد، ولكن الأخطر هو الإفتاء بأن الاحتفال محرم وأنه بدعة في الدين!

على أن رؤية الإسلام تجاه المرأة أكبر بكثير من تلك الرؤية التي تحصرها في الاحتفال بها بيوم؛ لأنها رؤية تتأسس على التكريم والتفعيل وإدراك دورها الرئيس في المجتمع، ووجود مساحة كبيرة لاختيار المرأة العمل المناسب لها، وتبوؤ المكانة التي تليق بها اجتماعياً وحضارياً وإنسانياً، وأنه لن تأتي فلسفة أو حضارة ترفع قدر المرأة كما فعل الإسلام.■

محطات إيمانية في طريق التربية (١٤)

التخلية والتحلية.. مدخل إلى التزكية

إنها المحطة المهمة التي يحتاجها كل إنسان، ليعيش سعيداً مرتاح البال في دنياه، ويحيا ويفوز الفوز العظيم في أخراه، تبدأ رحلة الوصول إليها بوضع الأثقال من الذنوب، والتخفف الكامل منها، ثم التزود بكل ما يصلح من الأعمال المناسبة في طريق الرحلة الطويل.

إيمان مغازي الشرقاوي

هي إذاً محطة تخلية وتنقية للظاهر والباطن من أدران الآثام وأقذار الخطايا، كما أنها تنظيف وتطهير للقلوب والعقول من كل ما يدنسها ويعطل عملها ويمنع وصول الخير إليها، ومن ثَمّ تكون التحلية بكل جميل وصالح، أما الثمرة المرجوة من ذلك كله فهي عظيمة؛ إنها تزكية النفس.

إن النفس البشرية تميل إلى الدعة والفتور، والكسل والتسويف، حيث تغريها الشهوات، وتتأثر بما يحيط بها من زينة الحياة الدنيا، وقد قال الله تعالى في كتابه: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ) (آل عمران: ١٤).

ولمّا كانت النفوس والقلوب عرضة للتغير وعدم الثبات وَورود الفتن عليها؛ فقد منحنا الله فرصة للتوبة والاستغفار، والأوبة والندم، والتجديد والإصلاح، كما دعانا النبي ﷺ إلى التناصح فيما بيننا، فقال: «إن الدين النصيحة» (صحيح النسائي)، ذلك لأن الإنسان قد يغفل وينسى ويضعف؛ فيحتاج للتذكرة من حين لآخر حتى يرتقي بنفسه وينقيها من آفات العصيان؛ لتتحول من نفس أمارة بالسوء، إلى نفس لوامة على التقصير، ثم تكون نفساً مطمئنة مطيعة لله منقادة لأوامره، وذلك بفضل الله أولاً، ثم بالمجاهدة والتخلية التي تتبعها التحلية.

التخلية قبل التحلية:

التخلية طهارة للقلب وتزكية للنفس، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) (التوبة: ١٠٣)، قال ابن عاشور: قوله «تطهرهم» إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات، وقوله «تزكيهم» إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات، ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية.

فالتخلية تكون قبل التحلية، فإن الوعاء الذي يملؤه صاحبه بما يختار ويشاء لا يستطيع أن يضع فيه شيئاً إذا كان مملوءاً بمادة أخرى، ومن هنا كان عليه أولاً أن يفرغه مما فيه ثم ينظفه مما علق به من تلك المادة، وبعد ذلك يصب فيه ما يريد، وهكذا القلوب والنفوس هي أوعية تحتاج منا عملاً وجهداً حتى نفرغ ما فيها من أمراض وآفات تتفاوت من شخص لآخر، ثم نملؤها بما يزكيها ويرفعها من الصالحات، وقد قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾) (الأعلى)، قال ابن عاشور: معنى «تزكى»: عالج أن يكون زكياً؛ أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها، وقُدم التزكّي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعُلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها.

دور التخلية والتحلية في تربية النفس وتزكيتها:

والحاجة إلى التخلية في حياتنا مطلوبة ومهمة، فما من عمل نقوم به إلا ويحتاج لتلك التخلية حتى يكون خالصاً وكاملاً، وقد قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾) (الشمس)؛ أي: «طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح» (تفسير السعدي)، وقال الحسن: «معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل» (تفسير البغوي).

وللتخلية دور كبير في تصحيح العقيدة، وإصلاح النفس، وتحسين الأخلاق، ففي قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن

زَكَّاهَا ﴿٩﴾) قال السعدي: من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق، وقال ابن كثير: طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على الرسول ﷺ.

إن على كل من أراد أن يطيع الله عز وجل أن يتخلى أولاً عن المعصية ويتوب منها ويستبدل الطاعة بها، وينزع حبها من قلبه ويستبدله بكراهيتها وبغضها، ومن حرص على تخلية قلبه من الشرك سارع إلى البعد عنه وعن أسبابه، وآمن بالله وحده رباً وخالقاً ومعبوداً؛ فإن دعا فلن يدعو سواه، وإن رغب ورهب فمنه وحده، وإن مسه الضر فله يجأر، وإليه يلجأ، فقد خلى قلبه مما سواه سبحانه وتعالى.

ومن أراد أن يكون ذا عقيدة سليمة فليبتعد عن الأفكار المنحرفة، والاعتقادات الباطلة، والبدع المضلة وليتبع القرآن والسُّنة.

ومن حرص على أن يكون ذا خلق عظيم فإنه يعمل عملية جرد وتنقية لأخلاقه خُلقاً خُلقاً، وتخلية السيئ منها وتنحيته عنها واستبداله بالحسن، فإن كان فظاً غليظاً ترك ذلك إلى الرحمة واللين، وإن كان يخوض في أعراض الناس استبدل بذلك الذب عنهم وذكر محاسنهم، وإن كان يجلس مجالس الغيبة والنميمة وصحبة السوء؛ هجرها لمجالس الذكر والعبادة مع عباد الرحمن، وإن كان يعمل عملاً يفسد به في الأرض تحول منه إلى الإصلاح فيها وعمارتها.

وهكذا فإنه يقوم بالتخلية إلى التحلية، فمن الجهل إلى العلم، ومن الغضب إلى الحلم، ومن البخل إلى الجود، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الطمع إلى القناعة، ومن الأثرة إلى الإيثار، ومن العقوق إلى البر، ومن المعصية إلى الطاعة في أمره كله.

ولا يكون المحل من قلبه ونفسه موضع قبول لصالح الأعمال والأخلاق إلا بعد تخليته مما يشغله ويبعده عن ذلك، فإن فعل طهرت نفسه وزكت وصار في درب المفلحين، كما قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾)، قال ابن عاشور: قد رتبت هذه الخصال الثلاث على الآية على ترتيب تولدها؛ فأصلها إزالة الخباثة النفسية من عقائد باطلة وحديث النفس بالمضمرات الفاسدة وهو المشار إليه بقوله: «تزكى»، ثم استحضارُ معرفة الله بصفات كماله وحكمته ليخافه ويرجوه وهو المشار بقوله: «وذكر اسم ربه»، ثم الإقبال على طاعته وعبادته وهو المشار إليه بقوله: «فصلى»، والصلاةُ تشير إلى العبادة.

أين قلبك من التخلية؟

أين أنت أيها المؤمن من تخلية قلبك وتحليته، وقد قال النبي ﷺ: «تُعرَضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأيُّ قلب أُشربَها نُكتَ فيه نُكتةٌ سَوداءُ وأيُّ قلب أنكرَها نُكتَ فيه نُكتةٌ بَيضاءُ حتّى تصيرَ على قلبَين على أبيضَ مثلِ الصّفا فلا تضرُّهُ فتنةٌ ما دامَتِ السّماواتُ والأرضُ، والآخرُ أسوَدُ مُرباداً كالكوزِ مُجَخّياً، لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ مُنكراً إلّا ما أُشرِبَ من هواه» (رواه مسلم)، فوصف الحديث قلبين: الأول كالصّفا وهو الحجر الأملس، يشبهه في نقائه وبياضه ونظافته ونوره وبهائه، والآخرُ أسوَدُ مُرباداً؛ أي كلون الرماد، وهو كالكوزِ مُجَخّياً؛ أي مائلاً منكوساً.

ألا إن المؤمن القوي يحرص دائماً على سلامة قلبه وتطهيره ونظافته من المفسدات والآفات ما ظهر منها وما بطن؛ حتى يلقى الله بقلب سليم (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾) (الشعراء)، فحين تعرض عليه الشهوات وتتزين فإنه لا يأخذ منها إلا القدر المناسب الذي لا يفسد قلبه، وإذا ما اعترضته الشبهات والشكوك فإنه يطردها بعيداً عنه حتى يثبت على دين الله.

إنه يبدأ رحلته إلى التخلية بالتوبة النصوح وتخلية القلب مما فيه من أمراض، وتحليته بما يحييه الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، فقد قال الله تعالى: (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) (الأحزاب: ٤)، وقد قال القرطبي عن القلب: «هو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والإيمان، وموضع الإصرار والإنابة، ومجرى الانزعاج والطمأنينة.. وأنه لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والإنابة والإصرار».

كما أن عليك أن تطلب العون من الله في ذلك، فقد كان النبي ﷺ يستعين بالله ويطلب منه أن يطهر نفسه ويزكيها فيقول: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها» (رواه مسلم)، فزكى الله قلب نبيه ﷺ وجعله أطهر القلوب، وأرسله للعالمين ليزكيهم ويطهر قلوبهم، قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾) (آل عمران).

قال ابن القيم في «مدارج السالكين»: «فإن تزكية النفوس مُسَلَّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً.. فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجئ بها الرسل؛ فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم».

ألا إن تزكية النفس هي همّ كل مؤمن ومطلب كل مخلص، وإنها لا تكون دون محاسبة النفس بصدق وتخليتها ثم القيام بتحليتها.■

القلوب أوعية تحتاج جهداً لإفراغها من الأمراض والآفات وملئها بما يزكيها من الصالحات

للتخلية دور كبير في تصحيح العقيدة وإصلاح النفس وتحسين الأخلاق

من أراد أن يكون ذا عقيدة سليمة فليبتعد عن الأفكار المنحرفة والاعتقادات الباطلة

المؤمن القوي يحرص دائماً على سلامة قلبه وتطهيره ونظافته من المفسدات والآفات

أُمٌّ أولادي مشغولة بنفسها.. فهل أستعير لهم أُماً؟

أ.د. يحيى عثمان

يمكنك إرسال استشارتك على أحد العنوانين البريدين التاليين:
info@mugtama.com
y٣thman١@hotmail.com

أستاذي الكريم، سلام الله عليكم وتقديري لكم ولمجلتكم الموقرة.

أنا رجل عصامي، نشأت في أسرة متوسطة الحال، الوالد، رحمة الله عليه، كان يجتهد لتلبية الاحتياجات الضرورية، وكل منا يعتمد على نفسه ويبذل أقصى ما يستطيع في حدود ما يرزق الله والدنا به.

أبلغ من العمر ٤٧ عاماً، ولله الحمد مهندس ورجل أعمال ناجح، لدي مكتبي الاستشاري وشركة مقاولات، وعدة عقود لإنشاءات دولية، وتعودت أن أتابع كل صغيرة وكبيرة في أعمالي.

تزوجت منذ ١٥ عاماً بفتاة حديثة التخرج تصغرني بعشرة أعوام، ولكن كان الفرق بيننا أكثر من ذلك بكثير، فهي ضحلة الثقافة تتصف بالأنانية والتمحور حول الذات، تنحصر اهتماماتها في رشاقتها ومظهرها، وقد ساهمت نشأتها في ذلك، فهي البنت الصغرى والوحيدة لأربعة إخوة، وهناك فارق أكثر من ١٠ سنوات بينها وبين أصغر أخ لها، نالت قدراً مبالغاً فيه من الرعاية والاهتمام، وساهمت الحالة المادية الطيبة لأسرتها في ذلك، فتعودت على الأخذ فقط، فرغم تخرجها في الجامعة، فإن والدتها تتولى كل شؤونها حتى ترتيب غرفتها، بمعنى أدق فهي فقط ينقصها أن ترضعها!

للأمانة لم تخدعني الأسرة ولا حتى زوجتي، فكانت الأمور واضحة خلال فترة الخطبة التي استمرت ما يقرب من ٦ أشهر، بل كنت سعيداً بها فهي جميلة وأنا محتاج زوجة فقط! كما ولله الحمد يمكنني أن أوفر لها مستوى مادياً أفضل مما تعيشه.

بدأنا حياتنا الزوجية في قمة السعادة، وخلال ما يقرب من ٣ أسابيع عشناها نتنقل من بلد لآخر، كنت أجد متعة في أن أعاملها كطفلتي! عدنا ولكنني لاحظت عدم اهتمامها بي إلا في الفراش! فهي في قمة الرعاية بأنوثتها فقط، وحيث إنني متعود على الاعتماد على نفسي فلم يشكل ذلك لي مشكلة حتى إفطاري تعده الخادمة وزوجتي نائمة.

مر العام الأول وكل ما يربط زوجتي بي فقط كارت البنك والفراش، وفي إحدى سفريات عملي اتصلت لتخبرني بحملها، وتوقعت أن فطرة الأمومة ستعيد هيكلة حياتها وأن الزواج منظومة شاملة من العطاءات والمسؤوليات، لكن خابت توقعاتي! فوالدتها مقيمة لدينا أو هي مقيمة لدى عائلتها خلال فترة الحمل، وكأنها أول امرأة تحمل!

رزقنا ولله الحمد بالطفل الأول، وبه بدأت المعاناة! فقد رفضت رضاعته بحجة المحافظة على صحتها، وكان أول خروج لها بعد الولادة هو التوجه إلى «الجيم»! وتقريباً انتهت علاقتها بالطفل بمجرد ولادته بحجة أن لدي الإمكانيات أن أحضر له مربية، وتعليلها «كله من أجلك يا حبيبي»، نعم أن ترفيهي الوحيد في حياتي بعد عمل مضن وإجهاد فوق الطاقة هو علاقتي الحميمية

بهـا، لكـن هناك أعبـاء ومسـؤوليات أخرى لمفهـوم الـزواج، وحرصـي ألا أضايقهـا فينعكـس ذلـك علـى علاقتنا يجعلنـي بكل ملاطفـة أطلـب منهـا رعايـة الأولاد لكن لا تغير يذكر.

لا أنكر أن والدتها كانت تسـاعدنا، ولها فضل كبير بعد الله فـي الرعاية البدنية من مأكل ونظافة، ولكنها على الجانب الآخر هي بمثابة من ساعد زوجتي على حالة اللامبالاة بي وبأولادها والاهتمام فقط بذاتها.

ازدادت معاناتـي وأولادي منـذ عام بعد وفاة والدتها، وحاولت معها، وكان ردها: ماذا ينقص الأولاد؟ الطباخة تعد لهم ما يطلبون، والشـغالة تنظف وترتب حجراتهم، والسائق يذهـب بهـم للنـادي ويحضر لهـم طلباتهم، والمدرسـون الخصوصيـون يداومـون لدينا وكأننا في مدرسـة، والشيخ الذي يحفظهم.. مـاذا ينقـص الأولاد؟ أتريـد منـي أن أكون طباخة وشغالة ومدرسة!

بل أريدك أن تكوني أُماً.

وأنا طبعـاً من جانبي مشـغول وأعمالي تتسـع وقـد تمـر عـدة أيـام لا أرى أيـاً من الأولاد إلا وهـم نائمـون، وأبـذل وأجتهـد، لأحقـق نجاحـاً مهنيـاً متميزاً، فالمنافسـة مسـتعرة، وما زلت أسعى لأن أبدأ المنافسة في الأسـواق الأوروبية بعـد أن حققت تميزاً في المنطقة العربية، كما أنني أسـعى أيضاً لأوفر لأولادي مسـتوى معيشياً كنت أحلم به وأوفر لهم من الأمـوال ما يمكنهم أن يبدؤوا حياتهـم العملية بعد تخرجهم في شـركاتهم الخاصة، لذا فعادة ما أعود في وقت متأخر، فأمرُّ على غرفهـم وأقبّلهم وأترك لهم بعض الحلوى التي يفضلونها، وفي الصباح يذهبون إلى مدارسهم قبل استيقاظي.

فقـررت، نعم قررت! ولعلك تسـألني: ما دمـت قد قررت لماذا ترسـل إلـيّ؟ نعم هي رسـالة لـكل امـرأة لا تقـوم بواجباتها نحو زوجها وأبنائها.

قـررت أن أحضـر أُمـاً لأولادي! مهـلاً عليّ لا تسـتغرب، هي اختصاصية اجتماعية بمدرسة الأولاد، كانت تتابع معي مشكلاتهم، وطبعـاً تعرفـت علـى ظروفهـم العائليـة، وأرجعت سـبب جنوح الابن الأكبر إلى العنف مـع زملائـه وانطوائيـة البنات إلـى فقدان الأولاد للإشـباع الوجداني والدفء والحنان العائلـي، ويحتاجون إلى دعم نفسـي خاصة

مر العام الأول وكل ما يربط زوجتي بي فقط كارت البنك والفراش!

رفضت رضاعة ابنها للمحافظة على صحتها وكان أول خروج لها بعد الولادة إلى «الجيم»

أنا مشغول وأعمالي تتسع وقد تمر عدة أيام لا أرى أياً من الأولاد إلا وهم نائمون

الابـن الأكبـر وأختـه لأنهمـا على مشـارف مرحلـة المراهقـة، كمـا أن تحليـل التقارير المتعلقة بسلوكيات الأولاد بصفة عامة، التي تصلني من المدرسـة شـهرياً تشـير إلى أن مشكلات الأولاد تتفاقم.

لقد كانت بناء على طلبي ترسـل لي عبر البريد تقارير الأولاد، لأنني قد أكون مسافراً أو حتـى عندمـا أكـون متواجداً قـد لا أرى الأولاد.

هي فـي الثلاثينيات مطلقة بسـبب أنها عاقر، وأشـعر بأنها تعوض ذلك في رعايتها ليس فقـط لأولادي ولكن لـي صديق أولاده بنفـس المدرسـة يشـيد أيضاً بهـا، أرجأت قـراري بالـزواج منهـا تعويضـاً لأولادي عن فقدانهـم أمهـم لحيـن انتهـاء الأولاد مـن امتحانـات نهايـة العـام وحتـى أنهـي بعض التزاماتي.

التحليل:

إن فترة الخطبـة مرحلة مهمة؛ لأنه بناء على تفاعـل الخطيبين يتم قـرار الزواج من عدمـه، كما أنها تعطـي تصوراً عـن الحياة الزوجيـة المرتقبـة، ويجب اسـتغلالها حتى يعـرض كل طـرف سـماته الشـخصية بكل مصداقية ودون أي تكلف، ويقرر مدى قدرته علـى التعامل مـع الطرف الآخـر على مدار ٢٤ سـاعة مدى عمره، ولا يقيمه تقييماً آنياً وهو محروم عاطفياً وجنسياً، فيتعمد الغفلة وتزييـن تصرفاتـه بالـورود، ولكـن يجب أن يقيمه بقدرته على بناء حياة زوجية متكاملة.

لقد كانت سمات زوجتك واضحة وقبلتها من منظور واحد فقط وهو قدرتها على تلبية احتياجاتـك الخاصـة، ثم شـجعتها على أن تنحصر علاقتكما الزوجية فقط في الإشباع الحميمـي والإنفـاق مـن جانبـك والصرف مـن جانبها، بـل ولم تعترض ولـم تحاول أن تحثها ولا أن تساهم في تطوير مفهومها عن متطلبات ومسؤوليات الحياة الزوجية.

رغم قيمـة وأهميـة العلاقـة الحميمية بين الزوجين وأنها بالنسـبة للشاب -خاصة الملتزم- هي الدافع من الزواج، ولكنها تصبح بعد الـزواج وسـيلة للتواصل بيـن الزوجين والتقريب بينهما بل وامتزاجهما بهدف سـام وهـو بناء بيت الزوجية بـكل أبعادها وبحيثُ يتمكنان من التعاون معاً لتربية أبناء أسوياء.

وهنـا يجـب التركيـز على نقطـة مهمة جـداً، وهي أنـه كما يحتاج الابـن إلى تغذية روحيـة تحفظ له دينه وتسـتقيم بهـا دنياه، وتغذيـة عقليـة تمكنـه مـن الأخذ بأسـباب السـعي في الأرض، وتربيـة بدنية تحفظ له بقـاءه صحيحاً معافى؛ فإنه يحتاج إلى تربية وجدانية، وهي التربية الوحيدة التي لا يمكن بل يسـتحيل توكيل غيرنـا للقيام بها لأولادنا نيابة عنا.

إن فقـدان الأبنـاء للتربيـة الوجدانيـة يؤثـر سـلباً علـى كل منظومـة حياتـه، بـل ويصعـب الوفاء بباقي أنواع التربية ويصيبها الاضطراب ما لم يتم الإشباع الوجداني لدى الأبناء.

إن التربية الوجدانية مسـؤولية مشتركة على الوالدين، ولا يمكن أن يعوضها أحدهما عن الآخر، فلـكل دوره الرئيس والمهم الذي يفعّل ويضعّف من دور الآخر.

فأنت، وأنت فقط، المسـؤول عن قصور زوجتـك، فأنت لـم تختر زوجة، بـل اخترت أنثـى يربطـك بها عقد شـرعي ومـن ثم لم تختـر أُمـاً لأولادك، ثم بعد أن اكتشـفت أن مفهومها عن الزوجية هو فقط تلبية إشباعك الجنسـي -وهذا حقكما- أقررتها على ذلك ولـم تبذل لتطوير مفهومها ومعالجة القصور في نشأتها.

كمـا أنـك لـم تحـاول تعويـض قصـور أمهـم بتواجدك معهـم، بل كل همك نجاحك وتميـزك المهنـي وتحقيـق طموحاتـك في

الأسواق الأوروبية، وأصبح حال أولادك كما وصف أحمد شوقي:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له أماً تخلت أو أباً مشغولاً

كذلك رؤيتك لعلاج ما اقترفت يداك، يعكس مدى أنانيتك؛ المحافظة على زوجتك دون أدنى مسؤولية تعكر صفو مزاجها لإشباعك الجنسي، تفرغك لتحقيق طموحاتك المهنية، تتزوج بأخرى لتربية أولادك، وزيادة الاستمتاع بأخرى!

الآثار:

إنك تتصور أن زوجتك ستطير فرحاً بمن ستقوم كأم بمهامها التي لا تؤديها، لتتفرغ هي لزوجها! وأن الأولاد سيهيمون فرحاً بمن يعوضهم عن أمهم المفقودة، ومن ثم سترتاح من العبء النفسي بإحساسك أنك مقصر في حق أولادك لتشبع نهمك بتفوقك المهني! ولم تخطر ببالك أسئلة أساسية أو لعلك هربت من الإجابة عنها إن كنت قد ناقشتها مع نفسك أصلاً.

من هذه التي ستتزوج وتعلم أنها مسؤولة عن تربية أبناء زوجها لتتفرغ أمهم لزوجها؟! وأليس لها هي الأخرى كل حقوق الزوجة الأولى؟ وما رد فعل الزوجة الأولى؟ وكيف ستسمح لها بالإقامة في بيتها وتشاركها في زوجها وعلاقتها به هي كل مهامها في الدنيا؟

نعم هي لا تقوم بمسؤولياتها كأُمّ، لكن هذا ليس معناه أن تسمح للزوجة الثانية بالقيام بدلاً عنها دور الأمومة، ومن قال: إن الأولاد سيقبلون هذا الإحلال؟ فطلاب الفصل عادة ما يبدون اعتراضهم على تغيير مدرسهم بآخر، فما بالنا بالأم؟ بالعكس قد يثير وجود زوجة أبيهم مشاعرهم السلبية وتتدهور حالتهم النفسية أكثر.

لذا فإن استمرار الوضع الحالي من المؤكد أنه سيؤدي إلى زيادة تدهور الحالة النفسية للأولاد، كما أن قرارك بالأم البديلة سيزيد الأمر تعقيداً، وفي كلتا الحالتين سيؤدي ذلك عادة للأسف إلى آثار سلبية عدة خاصة على من هم في بدايات مرحلة المراهقة.

عليك توليد الدوافع لدى زوجتك لتكون أماً وتشاركها قراءة كتب ومشاهدة فيديوهات وحضور ندوات

لذا أقترح ما يلي:

رغم قيمة وأهمية التميز المهني ومشروعيته، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «نعم المال الصالح للمرء الصالح»، «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»؛ لذا، فإن تربية الأولاد فرض عين على الوالدين، وفقه الأولويات يقتضي إعلاء تربية الأولاد على التفوق المهني، ودائماً أكرر: «استثمر في أولادك قبل أن تستثمر لهم».

بالنسبة لعملك ابحث عن مساعدين وأسند إليهم كل المسؤوليات التي يمكن لغيرك القيام بها، وحتى لو حفزتهم بنسبة من الأرباح فولدك الصالح خير لك في الدنيا والآخرة، يجب أن ينتهي عملك عصراً، يجب أن تجد الوقت المناسب لصحبة الأولاد وتعوضهم عما افتقدوه، وأن تقرأ كيف تربيهم وتتعرف على أنماط شخصياتهم، وأن تبني معهم مع كل منهم علاقة على أساس الحب والثقة.

على الجانب الآخر، توليد الدوافع لدى زوجتك لتكون أماً، وأن تشاركها قراءة كتب ومشاهدة فيديوهات وحضور الندوات والدورات والمحاضرات، وقبل كل ذلك فرضية القيام بمسؤولياتها كأُمّ ومدى الإثم الذي تقترفه بالتهاون في أداء هذه الأمانة، ومعاونتها على ذلك.■

قررت أن أحضر أماً لأولادي في الثلاثينيات ومطلقة لأنها عاقر وستعوض ذلك في رعايتها لهم

التربية الوجدانية مسؤولية مشتركة على الوالدين ولا يمكن أن يعوضها أحدهما عن الآخر

من التي ستوافق على الزواج لتكون مسؤولة عن تربية أبناء زوجها لتتفرغ أمهم له؟!

بقية المنشور (ص ٦٦)

المهمةلم تنتهِ بعد!

وأما الحرب الثالثة التي أيضاً عارضها الإخوان التي شكل الأمريكيون والدول العربية فيها حلفاً كان نتيجتها إسقاط العراق نهائياً تحت تفاهم النفوذ الإيراني الأمريكي وإشعال المنطقة بحروب المليشيات المتطرفة الطائفية السُنية والشيعية، وكشفت الدرع الأمنية الإستراتيجية حول منطقة دول الخليج للنفوذ الإيراني، والتحامه مع النظام السوري ممتداً للبحر الأبيض المتوسط في قلب بيروت، إذن ماذا بقي للعرب؟ وهل كان الإخوان يفهمون السياسة والإستراتيجيا أكثر ممن بيده السلطة والسياسة؟!

وعندما قامت الثورات العربية في مناطق الظلم والطغيان في بعض بلدان جغرافية العرب، ودعمها الإخوان، وقوبلت بثورات مضادة مدعومة من النظام السياسي العربي، فهل نتائج هذه المواجهة التي أديرت بتوافق مع النظام الدولي بطريقة ما، هل كانت من صالح استقرار المنطقة وشعوبها؟ وأين العقل السياسي من غير الإخوان؟ ألم تتمزق المنطقة وتتأسس فيها كتلة نظام عربي يعمل بشكل غير مفهوم لسيطرة إيران و«إسرائيل» على المنطقة؟

وهل منطق إزاحة الإخوان عن السياسة يستدعي كل هذه الكلف السياسية والاقتصادية والبشرية والتغيير الديمجرافي كله من أجل إزاحة الإخوان عن ممارسة السياسة؟

إن هذا يجعل المثقف الواعي أن يعيد دراسة تقدير الموقف بشكل صحيح معتمداً على النتائج لا على المواقف.

وأتفق مع بعض الإخوة الأعزاء على أن السياسة مجال احتراف لا هواية، وأن من يريد ممارسة السياسة عليه أن يكون محترفاً ويؤسس احترافه على كفاءة واقتدار عملي، وألا تترك هذه البضاعة لكل أحد، وعلى جماعات الإسلام التي تُمارس السياسة أن تحترفها بشكل صحيح وناضج ولا تتركه لقادة لا يستوعبون الواقع.

لقد فشل الإخوان في إدارة الدولة في مصر بعد الثورة، وهذه نتيجة حقيقية لا تُنكر، لا بسبب الفكر السياسي للإخوان، وإنما بسبب العجز القيادي والجمود التنظيمي، ويجب أن يترك الفاشلون العمل للكفاءات المقتدرة في العمل السياسي، ولكن لا يمكن أن يتم التجاوز على أكبر جماعة إسلامية في التاريخ الحديث ويطلب منها أن تنزوي في المساجد والجمعيات الخيرية لأنها فشلت في مرحلة زمنية، إذ إننا عرفنا من كتاب الله هزيمة المسلمين في «أحد»، ولكن لم يترك المسلمون الجهاد لأنهم هزموا في معركة، وإنما التوبة وتصحيح الأخطاء واجب.

والأمر الآخر، وهو هل نجح الإخوان في مهمتهم كما عبر عنها بعض الكتّاب المخلصين لهم؟

أعتقد أنهم نجحوا جزئياً، وتبقى أن يُكملوا مهمتهم، لكن ليس وحدهم، فأصل المهمة أساسها مواجهة المشروع الغربي الذي دخل المنطقة منذ إصلاحات وغزو نابليون لمصر الذي هدفه تغيير هوية المنطقة من إسلامية لتصبح تحت سيطرة الفكر الغربي تشريعياً وسياسياً واجتماعياً ليسهل السيطرة على مواردها وإمكاناتها وتعجز عن استقلالها وسيادتها ونهضتها وتكون وعاءً استهلاكياً لكل منتجات الغرب، ولذا فإن المواجهة كانت جهادية في بدايتها، وبعد إخمادها تحولت إلى إعداد فكري وتربوي، ومنها تأسس العمل السياسي.

في حين أن النخب التي أسسها الغرب فكرياً أنتجت جيلاً سياسياً يُؤمن بالعلمانية الغربية، وينسجم ويتكيف مع مطالبه؛ ولذلك تم تسليمها إدارة الحياة والسياسة، والناتج هو تخلف وتمدد للطغيان، وتبعية متواصلة، ومع امتداد الزمن وضعف النظام السياسي أصبح اختراق الثقافة والمجتمع العربي في هويته ليصبح اليوم خامة جاهزة للتغريب الكامل، كما حدث في المجتمعات الأخرى عندما خضعت بكامل هويتها للنظام الثقافي الغربي، ومثال على ذلك اليابان، فقد حدثني أحد الإخوة المفكرين والناشط في ميدان تحليل الهوية والمجتمع، أن سرطان الثدي بين النساء في اليابان قد انتشر بعد الحرب العالمية الثانية بشكل كبير، وعند دراسة نتائج التحليلات الطبية تبين أن ٨٠٪ منها بسبب تغير ثقافة الأكل اليومي من الغذاء الياباني إلى الغذاء الغربي الذي غزا الهوية الاستهلاكية للمجتمع الياباني.

إن المجتمعات العربية تواجه هجمة على هويتها وصلت إلى محاولة تمكين الإلحاد والهجوم على ثوابت الدين والقرآن والسُنة وتغيير واقع المرأة بتغريبها وإطلاق تيار الشهوات والاستهلاك وفق أفق الثقافة الغربية، ولا توجد حماية لمجتمعاتنا من نظام سياسي عربي، بل إن إدارة تغيير الهوية يتم بإدارة نظام سياسي عربي تابع، لذا فالمهمة لم تنتهِ، فمن سيقوم إذن بمهمة الإصلاح في ميدان الفكر والسياسة والمجتمع؟ لا بد من كتل حية في المجتمعات العربية والإسلامية، ولذا فمهمة الجماعات الإسلامية لم تنتهِ، ويجب أن تُمارس دورها في كل المجالات، ولكن عليها أن تتعظ من أخطائها، وأن تبادر إلى تصحيح مناهجها وأساليبها وقياداتها.

لكن من يعيد كل العرب؛ جماعات ودولاً، إلى وعي السياسة وفهم الإستراتيجيا ومنهج العمل بالسنن؟■

الأخيرة

بقلم:
محمد سالم الراشد

المهمة لم تنتهِ بعد!

إن النداءات المتكررة لـ«علمنة» العمل الحركي الإسلامي بعيداً عن السياسة جزء متناسق مع «علمنة» الدين التي يبذل النظام الفكري الغربي جهداً كبيراً في تأسيسه بين المثقفين والساسة وحتى رجال الدين وقادة العمل الإسلامي.

كما أن عزل الأحرار والمخلصين وحاملي الفكرة الإسلامية عن جهاد العمل الوطني الجاد في الإصلاح والتغيير السياسي هدف ترمي له الكثير من القوى المحلية والدولية للسيطرة على مسار المصالح فيما بينها.

إن إعطاء الحق لكل إنسان أياً كان انتماؤه الفكري أو السياسي أو الاجتماعي حق ممارسة السياسة وتأسيس الأحزاب والعمل من خلالها إلا الإسلام السياسي، فعليهم بسبب فشلهم في مرحلة ما أو لموقف سياسي خاطئ أن يتركوا السياسة.

المشكلة ليست في فشل فصائل من العاملين الإسلاميين في ميدان السياسة، المشكلة أن النظام السياسي العربي من جميع جهاته قد حكم منذ ما يقارب ١٠٠ عام وهو يفشل فشلاً ذريعاً في نهضة سياسية أو تنموية حقيقية، ومع ذلك لا ينصح بعض الكتّاب هذا النظام بأن يرحل وينشغل حتى بالتجارة ويترك السياسة!

لقد كتبت عدة مقالات ناصحة أو منتقدة أو متطرفة عن الأخطاء الإستراتيجية التي أخطأها ويُخطئها النظام السياسي العربي في منطقتنا، لكن لم يخلص إلى النتيجة أن يترك هذا النظام عن ممارسة لعبة إدارة السياسة الإستراتيجية في المنطقة.

إذن، أين المشكلة؟!

المشكلة ليست في ممارسة السياسة.

إذ لا يعقل أن يطلب من حركات إسلامية منتشرة في العمق الاجتماعي وممتدة في جغرافيا المنطقة العربية والإسلامية أن تترك السياسة، تكمن المشكلة في أن الطبقات القيادية أياً كان انتماؤها أو إن كانت في السلطة أو خارجها لا تنتهج نهج الممارسة السياسية الصحيحة والمطلوبة في عالم السياسة المحلية والإقليمية والدولية، ولا تولي أو تفرز وفق الكفاءة المقتدرة على إدارة عمل سياسي يقود الدولة بشكل صحيح، وهذا يقودنا إلى دراسة النتائج لا تشريح المواقف، فنتائج الحرب العراقية الإيرانية مثلاً في الثمانينيات التي وقف ضدها بعض الجماعات الإسلامية أدت إلى إضعاف العراق وغزو الكويت من قبل صدام، وتم خلالها بناء القواعد والاتفاقيات الأمنية مع الولايات المتحدة، في حين أن كل القوى ودول المنطقة كانت تؤيد الحرب التي عارضتها هذه الجماعات.

النتيجة أن موقفها كان صحيحاً، والمنطقة دخلت في مأزق الصدام الحتمي نحو تمزيق العرب وجغرافيتهم.

أما في حرب الخليج الثانية، فلنكن عادلين ومنصفين أن غالبية الإخوان وقفوا ضد غزو صدام للكويت، ومهما كان هناك دعم من إعلام الطرفين لتضخيم موقف على آخر، فالإخوان لا يملكون أكثر من البيانات ومهرجانات الشجب التي مارستها كل الأحزاب العربية الأخرى.

وكان اعتراض الإخوان المعترضين على الاستعانة بالقوات الأمريكية، حيث كان اقتراحهم أن تكون قوة عربية لحل الأزمة.

لكن لنعود للنتائج، وإن كنا ننظر في هذه الوقائع بالطبع من زوايا تقدير مختلفة؛ إذ إننا ننظر إلى أهمية تحرير الكويت لأن الكويت كانت ولا تزال بقعة إستراتيجية مهمة، بل ومهمة للنشاط الإسلامي في العالم العربي والإسلامي؛ لذا وجب تحريرها، ماذا كانت النتيجة؟

بالطبع، تحرير الكويت أدى لتحطيم العراق عسكرياً وبسط الولايات المتحدة نفوذها بشكل كامل على المنطقة ميدانياً وخضوع الحالة السياسية لمنطق القوة الأمريكية، ووضع دول المنطقة تبعاً للمجهود الحربي للولايات المتحدة وحلفائها.

البقية (ص ٦٥)